

الكتاب العربي السعودي ١٧

الدكتور عبد الله حسين باسلامة



الطبعة الأولى
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم



النـاشـر
تهـامـة
جـدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤


وقفة ..



الإهداء

إلى من ذكر اسمها تصريحًا
او تلميحًا ... إلى كل أبطال
هذه الوقفات ..
أهدي هذا الكتاب

مقدّمة

انني اعتبر — المختصر.. دائماً مفيداً.!

والملخص الجيد يفي كثير من الأحيان عن الاستغراق في التفاصيل، ودوامة الحياة العصرية. وما أدخلته التكنولوجيا على أوقات الفراغ.. لم تترك للمرء ما كان يتمتع به زميله في الأجيال السابقة من سعة في الوقت مكنته من (الإبحار) في صفحات الكتب والمجلدات.

.. كل ما اتسع له وقت قارىء (هذا الزمان) هو بضع دقائق.. للمرور سريعاً على العنوانين.. أو السطور.

إذا، فلا بد للكاتب أو الصحفي أو الأديب —وأنا لست منهم— عندما يشرع في إنتاج عمل كتابي.. أن يتمثل أمامه شخصية قارىء هذا العصر، ويحاول أن (يضغط) له العلم والأدب والفن والرمز والتعبير في (كبسولة)، طولها عدة سطور جمعت فأوعت.. سهلة المضم. لها (سحر) وجاذبية تشد القارىء خلفها إلى آخر سطر..

في الصفحات التالية.. «وقفة.. أو وقفات»، نشر معظمها في الصحف المحلية.. والبعض لم ينشر.. سامح الله..أو جزاهم خيراً!! من شجعوني وجعلوني أعتقد فيما كتبت شيئاً يستحق النشر.. لا أدري هل هذا التشجيع كان عطفاً أم عن اعتقاد.. ولا أكتم سراً إذا قلت —من اشتركوا— في هذه (الورطة) يمثلون قطاعات مختلفة من المجتمع، وعلى أعلى المسؤوليات...

..وأخيراً:

أخي الأستاذ محمد سعيد طيب —مدير عام تهامة— (حرضني) على أن أقتحم عليكم لحظات الفراغ القصيرة التي خصصها كل منكم للقراءة.. بهذه الوقفات في صورة كتاب.

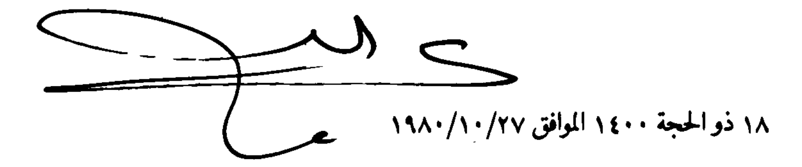
كل وقفة في الصفحات التالية تعبر عن واقعة.. حدثت في الحقيقة،.. أو عبرت عن مواقف أشخاص يعيشون بيننا...

أخيراً:

...هذه محاولة قارىء عرف (—أو هكذا— أعتقد) ما يريده القارىء الآخر.. فلخص له حوادث لها أبطال حقيقيون.. بأسلوب بعيد عن (الأدب)، والصحافة.. وفن الكتابة..!

لذا:

فتحذيري الأخير.. بأن أي كلمة إطراء أو استحسان عن ما ورد في هذا الكتاب سوف تشجع (كاتب هذا الزمان) على المضي والكتابة.. كمان وكمان..



١٨ ذو الحجة ١٤٠٠ الموافق ١٩٨٠/١٠/٢٧



الفَصلُ الأوّلُ

أنـــت !



أنت لست في حاجة إلى توصية

ليس صحيحاً أن (الوساطة) أوسمها (توصية)، واستخدام نفوذ الغير ووجاهتهم في إتمام الأعمال وقضاء الحوائج من سمات الدول (المتأخرة)..!

وأعتقد أن الإنسان عرف الوساطة (وتوسيط الغير) منذ أن بدأ يعيش في جماعات لها قدرات متفاوتة، بعضهم يستطيع بقدراته الذاتية وملكاته الشخصية أن يشق طريقه في الحياة.. والآخر عجزت بعض تلك القدرات والملكات عن تحقيق رغباته.. فاستخدم (الوساطة) كوسيلة سهلة.. أكيدة المفعول..!

حتى في الغرب، أصبح معروفاً أنه لكي تلتحق بالمدرسة أو الجامعة أو تجد الوظيفة المناسبة لا بد لك من أن تحمل مع مؤهلاتك خطاب التوصية Recommendation

هذا الخطاب -في الغرب- قد لا يحمل معنى.. كرت التوصية.. أو (ورقة التوصية) في دول الشرق حرفياً..، لكن يؤدي تقريباً نفس الغرض..!

أما المتبرعون بالقيام بدور الوسيط أو التوسط، فحظ الشرق ومجتمعنا خاصة

—منهم وافر— ولله الحمد.. قد يكون مرد ذلك للشهامة والمروءة.. وما شابه ذلك..!.. حتى لقد تورط الكثيرون في إهداء —التوصية للتوصية في ذاتها.

يقال: أن عم (محسن).. كان شخصية مرموقة (في الحارة).. وكانت له مكانة ووجاهة وصدارة..! يحترمه الكبار والصغار...! له من الخير والفضل الكثير على الكثير،.. وكانت له مهمة رئيسية هي (الوساطة) الشفاعة.. والمدافعة —وقد عرف فيه هذه السجيّة البعيد والقريب..!

دخل ذات يوم إلى مركز الشرطة.. فقام له (الضابط) المسؤول احتراماً وتقديراً.. فبادر (الشيخ محسن) بقوله: يا أخينا، كيف تعملون في الشخص ما لا يعمل؟ وتطلبون منه ما لا يطلب؟ وتكلفونه فوق طاقته؟.. فإن كان لي (معزّة) وجاه.. وكرم استقبال وضيافة، فأكرمني فيما قدمت عليه. واقبل (وساطتي) واقض حاجة من جئت من أجله..!؟

فرد عليه الضابط: أبشر..! ولكن من الذي جئت من أجله فالتفت الشيخ (محسن)، وسأل (صاحب الحاجة المرافق): ما اسمك؟ فقال فلان: يا عم محسن. فكرّر عم (محسن): فلان. فسأل (الضابط): ما الذي تريد أن (تتوسط) فيه؟ وما مشكلة صاحبك؟...! قال: والله (ما أدري).: يا ولد إيش الموضوع؟ قول لحضرة الضابط علشان أتوسط لك؟!

أنت مُستمع جيّد

في إحدى المدن الغربية،.. وفي حديقة غنّاء من تلك التي (تزين) عنق المدينة..! جلست زوجتي لتستريح، وذهبت لكي أقضي بعض الحوائج..، وعدت فأدهشتني السيدة (العجوز) التي كانت تجلس إلى جوار زوجتي بقولها... أن زوجتي رائعة وذكية،.. أليفة وعطوفة..! واسعة الاطلاع!، وكم هي سعيدة بلقائها والتعرف عليها،.. وقضاء هذه الدقائق معها!.

ولو لم أكن أعرف زوجتي جيداً، لحسبت أن ذلك من الإطراء المستحب الذي يصدر عادة عن نفس لم تقلقها الأنانية..، (مع الاعتذار). فسألت زوجتي: ما الخبر؟

ومن أين هذه الصفات.؟ ماذا قلت لهذه السيدة فأجابت: الواقع أنني لم أقل شيئاً كثيراً..، سألتني من أين أنا.. ومن متى هنا؟ وبعد ذلك أخذت هي دفة الحديث إلى حين حضورك..، الذي حمدت الله عليه.! وإن كنت من وقت لآخر أرد عليها بنعم وآه صحيح.. ألخ..

وعرفت السر.. فان زوجتي كانت (مستمعة جيدة)، وجدت فيها هذه السيدة من (يشبع) فيها الإحساس بالأهمية.. الإحساس بأنها لا تزال داخل المجتمع البشري!

لقد كسرت بحديثها أسرار الوحدة، وجدار الصمت..!

كثيرون مرّوا بهذا الموقف..! وخاصة في البلاد (الغربية)، لحسن الطالع أن المجتمع الإسلامي والتقاليد العربية..، رعت حقوق الأبوين والأسرة والأقارب..

واليتامى والأرامل،.. وخاصة فيما يتعلق بالرعاية في المأكل والمشرب..، لكن قد يجلس بجوارك أو في دارك من يحتاج إلى أكثر من ذلك.! يحتاج إلى من يتحدث إليه، يحتاج إلى مستمع جيّد عطوف.

وعلى فكرة —باستمرار— المستمع الجيّد (أحسن) من المتحدث اللبق..!، وقد قيل: إذا كان الكلام من فضّة (فالإصغاء) من ذهب.

أنتَ مُحتاجٌ إلى وَقفه !

كل منا محتاج إلى وقفة.. قد تطول وقد تقصر.. وصدقوني بأنها مفيدة..، ففي (دوامة) الحياة يصبح الإنسان (ترس) في محيط عجلة تلف به..! وهويلف و يدور في محيط نفسه...

وكلما كثرت مسؤولياته، كلما كانت سرعة (دورانه ولفّه) أكبر، وأصبح في حاجة أمس لوقفة،.. فإذا لم نجد الوقت (.. أو نفتعل) هذا الوقت.. للوقفة، فإنّا نصبح (روتينيين) في عملنا.. ما نمسي فيه نصبح عليه.. لا ابتكار.. ولا أفكار جديدة..

ولا دفع إلى الأمام في المهام المنوطة بنا..! ففي (الوقفة) نجد الفرصة في تأمل إنتاجنا وعملنا اليومي وكيفية تحسينه..، مستقبلنا..! وسائل تطوير للمهمة التي كلفنا بها.

ونحتاج (الوقفة) لكي ننصف الآخرين الذين يعملون معنا.. لكي نُنصف أنفسنا..! نحتاج لوقفة، مع (النفس) عندما تكون قد أدت عملها آخر اليوم أو قبل النوم...، وعند الصحو.! هل نحن راضون عمّا نعمل.؟ هل نحن موقنون بأن الحياة..

والصحة.. والشهرة والمجد.. هي حوادث مؤقتة في رحلة العمر..!؟. هل نحن أنصفنا من نحب.. والأهل والأصدقاء.. ولاحظنا في حقهم (الأشياء الصغيرة). أو التي نعتقد أنها أشياء صغيرة...

كلمة حب.. لمسة حنان.. حوار سعيد.. سعداء من يجدون الوقت —لوقفة— من الأطفال والأبناء في المنزل.. وفي فترات تجمع الأسرة..! كثيرون يجدون الوقت لهذه الوقفة، ولكن لا يجدون رحابة الصدر لوقفة تتناسب مع ما يتطلع إليه الأطفال، والأهل من عودة ربّ أسرتهم آخر (الدوام).!

الكثيرون يحملون معهم إلى (البيت) منغصات العمل، (ومشكاسة) (المدير)، ومقالب الزملاء، وغدر المرؤوسين.. لديهم وقت للأسرة، لكن ليس لديهم (الخلق) وسعة الصدر،.. لاستقلالة.!.

لنجرب (وقفة) أثناء العمل.. لمصلحة العمل!.. ووقفة مع (النفس) لمحاسبتها، ووقفة مع من نحب للانصاف.!

والآن لنحلق —في الجو— بين السحب وفي الفضاء... وفي ارتفاع آلاف.. الأقدام عن الأرض، إنها فرصة مناسبة، فقد (وضعتك) في هذه الوقفة.، فلتكن وقفة طويلة مع النفس، وللتأمل والتدبر.. والمحاسبة.! فقبل أن تهبط الطائرة على أرض المطار.. لتهبط همومنا.. ولتصقل نفوسنا.. وتشحذ هممنا..!

أنت من أل ١٠٪

كان في هذا الزمان طبيبان.. على مستوى إجتماعي مرموق، وحظ وافر.. من العلم في طبيعة المهنة.. وكانت لهما (عيادتان) في عمارة واحدة.. متجاورتان..

تمضي الأيام والأسابيع، و يتوافد (الزبائن) على أحدهما بأعداد وفيرة.. لدرجة أن بلغ التزاحم إلى الطرقة التي تفصل العيادتين..

إلى أنه أخيراً استعمل بعض (الزبائن) أماكن الانتظار في عيادة الطبيب الجار..، الذي لم يحدث أن زاد عدد مراجعيه عن عشر المقاعد المعدة في عيادته للانتظار..، و بلغ السيل الذبى (كما يقولون) بصاحبنا الذي يقل التردد على

عيادته،.. فذهب إلى زميله وجاره —الحظيظ— وقال له: يا أخي.. ألا تذكر أني كنت الأول على مجموعتنا في المرحلة الابتدائية، ثم الثانوية وكنت أشرح لك دروس العلوم واللغة الانجليزية؟؟

قال: نعم..

ألا تذكر أني كنت أنجح بتفوق في كل سنة دراسية في كلية الطب، ولم يحدث أنك نجحت من (الدور الأول) قط ؟؟

قال : نعم !!! أذكر.

قال له : ألا تعترف بأني كنت من أوائل خريجي الكلية.. والدراسات العليا.. والدكتوراه..؟؟

وكنت أنت محدود المستوى (عادي المحصول العلمي).

أجاب : نعم.. أعترف.

ألم تكن تشهد لي كثيرا بالذكاء والعبقرية ؟؟

قال : بلى وألف بلى.

—إذاً —قل لي يا أخي : بربك.. لماذا يتكاثر الناس على عيادتك، حتى لقد شغل (زبائنك) أماكن الانتظار في عيادتي..

.. وأنا الذكي والعالم.. لا يزيد عدد مراجعي عن ١٠٪ ممن يتردد عليك..

هنا قال صاحبنا (الحظيظ) لزميله :

يا صديقي تعال معي إلى شرفة العيادة.. أنظر إلى الشارع والميدان..؟ وقل لي :

مَن مِن هؤلاء البشر الذين يملؤون الشارع والميدان يمكن أن يصنفوا من العباقرة والأذكياء (الفاهمين) ؟

فأجاب : حسب الاحصاءات العلمية حوالي ١٠٪

قال له (الحظيظ) :

يا صديقي : هؤلاء الـ ١٠٪ هم الذين يترددون على عيادتك... أما زبائني فهم من الـ ٩٠٪.

أنتَ مِن المجهُولين

حمل (صاحبنا) حقائبه.. وسافر إلى البلد التي يعمل فيها الفنان العبقري..

الذي.. (غطت) شهرته الآفاق.. فيا يروى عن جهده، وفكره، وآرائه (النيرة)..!
ذهب ليتعلم منه (تكتيك) أو فن الصنعة.

.. وصل إلى هناك.. وكان يجري في المدينة في ذلك اليوم عمل من أعمال هذا (الأستاذ) +! وقف أمام المنزل الذي أراد صاحبه أن يعرضه للبيع — ورغب في أن يأخذ لهذا المنزل صورة فوتوغرافية.. بواسطة هذا الفنان الشهير..

حضر لفيف من الفنيين (الجنود المجهولين). وضعوا الكاميرات، عملوا الأضواء، فحصوا المنظر.. أضافوا (الرتوش)، وضعوا الطلاء المناسب..،.. (لمعوا) الكاميرات.. أزاحوا الشوائب.،

وبعد جهد مضني من (الجند المجهولين)..! وصلت (السيارة) ماركة

(الروزرو يس).. وخطى (الأستاذ) إلى حيث تقف الكاميرا..، وقد أعد كل شيء (تماماً) والإضاءة قد أحكمت، تقدم والكل (في إعجاب) سواء من العاملين أو من (المتفرجين) الذين اكتظت بهم الساحة..، ولعل أكثرهم دهشة هو (صاحبنا)،

الذي حمل حقائبه ووصل.. (المهم..) بكل عظمة وخيلاء.. تقدم (الأستاذ) ورفع يده (الفنية) وأمسك (بالسلك) المؤدي إلى زر تشغيل الكاميرا، وضغط على (الزر)، وفي أقل من ١/٢٥٠ من الثانية انفتحت العدسة، وأخذت الصورة..!!

وصفق الجميع للمجهود الجبار.. وركب (الأستاذ) عربته، الروزرو يس —بعد أن أدى واجبه—، وكانت صورة فوتوغرافية رائعة سوف (تغري) المشترين— وتدر الربح على صاحب المنزل.

واحتار صاحبنا.. هل يأخذ العلم ممن أخذ الشهرة..! أم ممن مهدوا طريق الشهرة!! من الجند المجهولين..؟

وحمل حقائبه وعاد إلى بلده.!!

أنت مِن أَصحَاب القرارات الهَامّة

قالت :

.. لقد تخلصت من القطعة الصغيرة (نوسه) .. وأرسلت السائق بها إلى الحارة المجاورة، لكي يبعدها عن المنزل .. يكفيني (هم) .. وعناء أختها ننوسة ...

قال :

.. طيب .. حسناً عملت .. الحمد لله .

قالت :

.. إذا .. أنت مسرور بهذه الفعلة ؟؟
قال : .. لم أقل أنني مسرور .. لكن ما دامت هذه رغبتك .. فأعتقد أنك فعلت طيباً ..!

قالت :

.. وتكررها ؟ هل في نظرك التخلص من القطة الصغيرة .. المسكينة ..

عمل يسر؟.. هل يفرحك (أن تتمرط) هذه المسكينة في الحواري و بين القاذورات؟
قال : كل يأخذ رزقه.

قالت : إذاً، أنت سعيد لذلك؟
فأجاب : .. ليس مستقبل أو مصير قطة مما يحلق بي (بين سحب السعادة).. وأمواج السرور..!!

فقالت : أنت لا يبهجك أن ترى لي اهتمامات؟؟
قال: ..ما دخل ذلك.. في قطة..؟
قالت : كلكم .. أنتم الرجال قسات القلوب.. ظلمة؟
قال : وكيف استنتجت كل هذه العيوب هذا المساء؟؟
قالت : ابحث لي عن حل لمشكلة (نوسة)؟
قال: لكنني لم أكن صاحب القرار الأخير.
فسألت : وهل كنت تريد أن تتدخل في شؤون المنزل.. وتصدر الأوامر والقرارات. حتى (البساس) الحلوين.. لم يعد لي التصرف في أمورهم، أين حدود وظيفتي.!

قال: أفتسمحي لي أن أقترح حلاً؟
قالت : قل، فأنت دائماً تتدخل في اختصاصاتي.
قال : ابعثي السائق يبحث عنها ويحضرها.

قالت : من قال لك أنها واقفة على الرصيف، أو عند محطة الأتوبيس.. وكتبت

إعلاناً على محل إقامتها الجديد.. أنت تهزأ بي.. تعتقد أنك.. في مكتبك.. و بين موظفيك؟؟

قال : أعرف أن القطط دائماً تحاول الرجوع إلى بيت أصحابها .. حتى ولو أنها أبعدت أميالاً ؟؟

.. ذهب السائق .. وفي دقائق عاد ومعه القطة .!! ولم تصدق الزوجة عينيها .

قالت : إنني كنت على يقين أنها سوف تعود ..! لكن يجب أن أضع حداً لتدخلك في اختصاصاتي .. يجب أن يعرف كل منا حدود مسؤولياته ..!

قال : .. إذا دعينا .. نعقد اتفاقية مماثلة .. لاتفاقية (مستر بزك) .. وزوجته ..!
قالت : من هذا (مستر بزك) ؟؟

قال : .. إنه رجل (محترم) يشغل منصباً مرموقاً في بريطانيا .

قالت : ماذا عملا ؟؟

قال : اتفق مستر بزك مع زوجته منذ اليوم الأول لبدء العشرة .. على أن تقسم

وظائف الحياة .. ومسؤولياتها .. وكل ما يمكن أن يعترض طريقهما .. من أمور تتطلب اتخاذ قرار — على النحو التالي :

تقوم الزوجة :

باتخاذ القرارات (العادية) .. مثل تربية الأولاد .. شراء المنزل .. امتلاك السيارة .. الإجازات .. زيارة الأصدقاء .. التعارف .. الادخار .. شراء الأراضي والأسهم .. إقامة الحفلات .. تجديد الأصدقاء .. دخول الأبناء المدارس .. والبحث

عن مستقبل الأسرة.. الخ.. الخ.

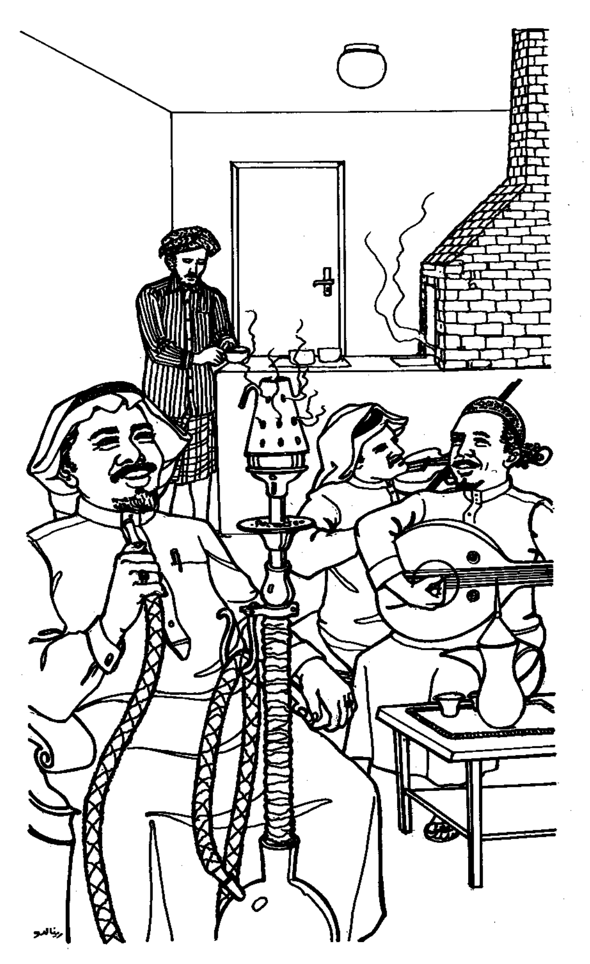
أما هو:

فمن اختصاصاته : إتخاذ القرارات (الهامة).. والمصيرية،.. مثل إرسال الأمريكان أو الروس بمركبة إلى الفضاء.. الحرب في فيتنام.. مشكلة الرهائن.

تدخل الروس في افغانستان.. ألخ.. الخ.. ألخ!!

وسكتت الزوجة.. لحظات. ثم قالت:

أعتقد أن صديقك (مستر بزك).. رجلاً حكيماً..
.. لكن لا يستشير زوجته عند اتخاذ هذه القرارات الهامة..



الفَصلُ الثَّانِى

سنين مِن العُمر ضَاعت



سنين من العمر ضاعت

له من الرصيد — في عالم المجاملة الكثير.. فهو ابن (فلان) من كبار المسؤولين..

وقريب (فلان) صاحب المؤسسة ذات الرصيد العالي.. و.. و.. لكن رصيده العلمي وملكاته الذاتية أقل من أن ترقى به إلى حيث يريد.. وأضعف من أن تغذي طموحه وتسقي أرضه الجرداء، فتثبت له شخصه.. مؤهله.. مرموقة أبيه..!

لذا (استغل) الكنز الوفير لديه (المجاملة) لكي تضعه حيث يمكن أن لا يكون..!.. وصل وتخطى صفوف الكثير.. داخل المقعد —رقم واحد— في الفصل (العلمي).. كأنه حمل إليه (بصاروخ) ليس من صنع قدراته الذاتية وتحصيله العلمي والفكري.. وإنما (صاروخ) وقوده: الوساطة، النفوذ، الصحبة.. المجاملة!!

وفي الميدان، كان عليه أن يتخطى حواجز الجهل و يقفز فوق السطور والمجلدات.. وكتب المعرفة.. والتجارب، و يصل مع أقرانه إلى خط النهاية.. ويجتاز

لكن — كما أسلفنا — فقدراته الذاتية ليس لها الرصيد الفكري، الملكات الشخصية، ما تمكنه.. من خوض السباق.. كما أن الطاقة المنبثقة من (صاروخ) المجاملة.. و.. و.. التي قذفت به إلى حجرات المعرفة..!

لن تستطيع — أن تدخل الثقافة والعلم إلى العقول المظلمة.. والملكات الشخصية المحدودة.. والنتيجة.. راسب.. وسنين من العمر ضاعت. وألمت بالنفس حسرة..

منذ سنوات قبلت الجامعات المصرية — قبل معاهدة كامب ديفيد — مائة أو يزيد من الطلاب..! الذين أكملوا دراسة الثانوية هنا (بمجاميع) لا تتعدى الحد الأدنى للنجاح. أدخلوا — بأمر كبار المسؤولين هناك. مجاملة لنا.. حاضر.. تؤمر.. أبشر.. أدخلوا (أصعب) الكليات.. أمكن ذلك..!

وتمضي الدراسة.. ولكن القدرة الذاتية محدودة.. والمجاملة عملها يبطل مفعولها في مدرجات العلم والتحصيل..! والنتيجة ٩٠ في المائة، من هؤلاء الشباب.. رسوب..!!

وضاع من العمر سنين.. وألمت بهم حسرة، وبالنفس ضيق!. فإذا لم تكن المجاملة — على حساب الغير — فاننا أحياناً.. نجامل على حساب المصير.

أَمواجٌ مِن البَشَر

يتزايد عدد البشر بمعدل مولود كل ثلاثين ثانية (أي ثلاثة مواليد) في الدقيقة..

فبمجرد انتهائك من قراءة هذه (الوقفة) يكون قد زاد عدد البشر حوالي عشر!!. ومن الطرف الآخر يتناقص عدد البشر بمعدل يقل كثيراً عن نسبة المواليد.. إذاً هناك دائماً نقصاً في الإنتاج..!

الذين يهتمون بمشاكل البشر يصرخون محذرين من الانفجار السكاني..، ويواصلون الإنذار تلو الإنذار منبهين سكان الأرض من عاقبة تلوث الأرض بكثرة النسل..؟ يقولون —ضمن ما يقولون—: إننا نفرق أنفسنا في أنفسنا..!

بشر سوف يلتهمهم موج من البشر..! لن يأتي وقت يأكل فيه الإنسان (القوي)

الإنسان (الصغير) لحماً مشوياً (سندوتشاً)— محشياً. وان كان قد أكل بعض الناس لحوم البعض غيبة ونميمة— والعياذ بالله.

يقولون: الموارد على هذه البسيطة (الأرض) محدودة.. الرقعة الزراعية.. الآرض الخضراء، المياه العذبة، الثروة الحيوانية.. الخ، سوف لن تكفي كل البشر إذا استمر هذا النشاط المتزايد في الإنتاج البشري.!

والنتيجة سوف يجوع الكثير وتموت الغالبية..! يقولون إن في العالم الآن أكثر من (٤٥٠ مليون) جائع.!! وأقول: إن في العالم أكثر من (ألف مليون) يشكون من (التخمة). لن تستطيع هيئة الأمم ولا المنظمات الدولية ولا جمعية (الرفق بالانسان) أن تغرس في النفوس المتخمة بالطعام — وغالبيتهم (من الدول المتمدينة الشعور بالمسؤولية تجاه الاخوة في الإنسانية.

لن يستطيعوا أن يفهموا الدول (المتخمة) بأنها لن تستطيع أن تنام (مؤمنة) — مطمئنة —، وجاراتها من الدول الفقيرة تئن طوال الليل من الجوع. لن يستطيعوا أن يمنعوا بعض الدول من (حرق) الفائض من القمح حتى لا تصاب أسعاره بالكساد..!! ولا أن يمنعوا من أن تسقى الأرض بالفائض من الحليب..!

ليس هناك نقص في موارد الغذاء — على نطاق العالم —، ولكن هناك سوء التوز يع..!

لهذا:

كانت رحمة الله بالبشر — أن أرسل رسوله رحمة للعالمين، يعلّمهم كيف ينام المؤمن قرير العين إذا كان جاره قد طوى على بطن شبعه.

ما أسعد البشر وأرحم لهم — لو أن — الاسلام... لا ميثاق الأمم.. هو المهيمن على معظم البشر..

••

كم بقيَ من رصيد العُمر

نحن شعب مسرف...

قد نسميه كرم.

... ولكن هناك فارق بين الاثنين.

البعض فعلاً يتحلى بصفات الكرم..! وأكثرنا مسرفون..، ليس الموضوع هنا مناقشة الإسراف في المظهر، والمركب والملبس، والإنفاق بلا حدود.. وخاصة عندما نكون خارج (الحدود).. وبين أصداء النغم،..! وتصفيق المستفيدين..!!

والإسراف الذي أنا بصدده الآن.. هو الإسراف في الوقت.. نضيع بلا حساب!!

.. صحيح.. لكل منا (رصيد) مفتوح في بنك الوقت.. نأخذ منه الكمية التي نريدها.. من حسابك.. فأنت حر. لكن قد يتعدى الموضوع ونسطوا على (أرصدة) الآخرين.. نسحب من أعمارهم (أو من حساباتهم) من (بنوك) الوقت (المبلغ) الذي نريد.

مثال لذلك:

... يريد شخص ما أن يسأل في موضوع يهمه.. يأتي إليك أنى شاء... ويجلس على (الكرسي) الوثير.. كيفما شاء.. و يطلب الشاي.. والقهوة.. و يضع نقطة السكر بتأدة.. و يشعل السيجارة.. و ينظر إلى ما وضع على جدار الغرفة... وعندما يعن له: يسألك عن حاجته — و يصر على (التنفيذ).

.. كم أنفق كل منا من هذا الرصيد؟ وكم بقي.! لا يعلمه إلا الله...

لقد تعودنا جميعاً على (البعزقة) في العمر، وأصبح ليس للوقت قيمة..! وهو الواقع (شيك) مسحوب على (رصيد) العمر...

في رأيي:

— دعونا قبل — أن نسأل عن عمرنا فيما أفنيناه!! أن نجيب على الأسئلة التالية:

١) .. ما الذي نريد أن نحققه.. قبل أن ينتهي رصيد العمر.

٢) كيف نعمل من الآن.. إذا علمت أن ما بقي من رصيد العمر غير ما نتوقع.. ولم يبق إلا اليسير..؟

.. في الإجابة:

.. تكمن الإستفادة من باقي العمر.. فلا تغتر..!

مثل هذا الشخص.. هل يستطيع أن نقدم له آخر الزيارة كشف حساب عن الوقت الذي (سحبه) من رصيد عمرك.. وعمر الآخرين.!

يقولون —في الغرب— أن الوقت.. فلوس.. وقديماً قيل (أن الوقت من ذهب)، وأرى أن الوقت هو —رصيدك في الحياة—.. كيف ذلك؟ مثلاً.. مكتوب للشخص أن يعيش في المتوسط (ستين عاماً).. (..وأتمنى لك المزيد..).!

يعني (٧٢٠) شهراً —أي— (٢١٦٠٠) يوم، ما يعادل (٥١٨٤٠٠) ساعة.. (كذا) ثانية!!

الانتحار بطريقة أخرى

لقد (عبر) جيل الجزيرة العربية، —سواء في السعودية أو في دول الخليج أو بعض الدول البترولية— عبر حضارة.. ومجهود أجيال أمم أخرى. في جيل..!

هل أمكنه (هضم) هذه الطفرة..؟ وهل الهضم لم ينتج عنه (عسر) نفس أو (تلبك) فكري؟.. هل زاد عدد (المحولين) إلى مستشفى (شهار)؟ وهل فتح المزيد من العيادات النفسية والعصبية؟ وهل انتشرت ظاهرة الانتحار في هذه المجتمعات؟

لقد سألت سؤالاً عن أحد المشافي العقلية والنفسية. فأفادوني بأن العدد الفعلي للمرضى لم يزد كثيراً. وأصبحت مدة بقاء المريض أقصر. وأنواع الأمراض العقلية لم تتغير..! ولعلمي (المحدود) فان الانتحار لم يصبح ظاهرة خطيرة أو ملفتة للنظر —وهي ولله الحمد— ليست مشكلة مجتمعنا.

إذا؟ هل نستنتج من ذلك أن التحضر والتمدن —ان كان هذا الذي حدث يعد تمدنا— و(حياة) جيل في عمر أجيال واستعابة خلاصة إنتاجهم وحضارتهم لم يؤثر من قريب أو من بعيد في فكر ونفس وتصرفات سكان الجزيرة ومن (شاكلهم)؟..!

قد نكون (محابين) إذا قلنا: إن الله قد حبانا المال الوفير والخير الكثير، وأيضاً العقل الكبير.! والنفس المطمئنة. نعم: إن ذلك ليس بعزيز..، ولكن الواقع أن هذه الطفرة لها ما لها من تأثير سلبي ظهر بعضه.. أو لم يحن بعد وقت ظهور الآخر.. —وفي

رأيي— أن (السلبيات) ولله الحمد ليست بالكثيرة أو الخطيرة، لقد خلع بعض المراهقين والمتصابين المقاعد الرخامية التي وضعت في الحدائق العامة..! وحطم (بعض الناس) كبائن التليفونات العمومية، عندما وضعت لأول مرة منذ سنوات.

... وتأثر المسؤولون وغضب الكثيرون لذلك.

وعندما بدأ تشغيل الهاتف الآلي، كثرت (المعاكسات)..، ولكن سرعان ما هدأت أعيد تركيب المقاعد المريحة في الحدائق.. أو المتنزهات،.. ولم تمس بسوء. إنتشرت في الطرقات والحواري غرف (الكبائن) — للتليفونات العمومية، ولم يتعرض لها أحد بسوء.

إذاً، هذه وأمثالها من الحوادث —إذا اعتبرت— على أنها تعبير سلبي لضغط (الإبحار) في عصر التكنولوجيا —بالطول والعرض— فأعتقد أننا — شعب يتمتع بصحة عقلية ونفسية — جيدة..!

وقد قلت لسعادة السفير الاسترالي —رداً على سؤاله من التأثير السلبي لهذه الطفرة—: إن من أهمها —في نظري— هي قدرة الكثيرين —أو الكل— على شراء السيارات،..وبالتالي —حوادث مرور— بكمية لا نحسد عليها..! وطريقة للانتحار لم تكن معروفة من قبل.

جيلُ الأَجيَال

ما مر بجيلنا الحاضر –في رأيي– لم يشهده جيل سبق، وقد لن يتأتى لجيل لاحق

– في أي مكان في العالم. وقد قيل: إن الجيل يمثل مرحلة من العمر تقدر بحوالي ثلاثين سنة...!

من ضوء (اللمبة الغاز) والفانوس أو القمرية..! إلى وهج الكهرباء التي تضيء

–ولو لم يمسسها نار.! من (الشربة الفخار) إلى الثلاجة التي تعطيك الماء البارد و(تكسر) مكعبات الثلج بالدرجة التي تريدها؟ من (شنطة الغناء) إلى

(الفيديو)..، من الصور الشمسية بالأجهزة التقليدية إلى (البلوريد).. إلى الأفلام الأمريكية –من أحدث و(أفظع) ما أنتجت استديوهات هليود. من مروحة اليد (الخصف) إلى التكييف المركزي.

أفاء الله على هذه البلاد – (الجزيرة العربية) بصفة خاصة: الخير الكثير و يسر

للإنسان سبل العلم والمعرفة والاختراع، فصنع الوسائل التي حسنت المعيشة وكيفت الجو المحيط.. طويت المسافات، وتغيرت حياة الإنسان.

أضفت عليها (سحابة) من الرفاهية وطيب العيش.

هذا الذي (حدث)..، عم الكون، ولكن تفاوتت درجات النعيم، وكان حظنا ولله الحمد أكبر من أي شعب آخر.

عبر جيل واحد أدخل إلى هذه الجزيرة — خبرة أجيال. (زرعنا) فوق الأرض الشوارع والطرقات وأعلى (البنايات). وخلاصة سنين من العلم.. شيدت (عماير) وفلل ودور في أشهر وأسابيع، كانت الدول والأمم تحتاج إلى عشرات السنين لتشييدها..!

نقلت الكماليات والرفاهيات —لا من حيث بدأ الغير— بل من حيث أنهوا..! كل ذلك أمكن —بما أفاء الله على هذه (الجزيرة) من الخير.. المادي.

ولكن السؤال الذي سئلته من (السفير الاسترالي) عندما زارنا في (الكلية): ما التأثير النفسي والسلبي لكل ذلك على جيل الأجيال..؟ للحديث بقية.

عمر الإنسان

يقدر عمر الجيل بثلاثين سنة..، أي بين الجيل والجيل مرحلة، ومشوار في الحياة هو حوالي ثلث قرن..! لا أعرف كيف (حسبت) — لعل — ذلك — لأن متوسط عمر الإنسان.. في كثير من البلدان..! ثلاثون عام.

والواقع — من الإحصائيات الدولية — أن في معظم الدول النامية يلقى الإنسان (حتفه) في عز الشباب، وبالتالي لا يزيد متوسط العمر عن عمر الربيع..

(ثلاثين).. وقدر متوسط الأعمار — في المملكة — بحوالي ٤٧ عاماً للمرأة..، وقدر متوسط عمر الرجل بـ٤٥ عاماً (جنس ضعيف)..! بينما بلغ متوسط عمر الفرد في السويد — مثلاً — ٧٥ سنة، وفي أوربا وأمريكا ينقص قليلاً عن ذلك..!!.

قصر عمر الإنسان في البلدان (المتأخرة)..، راجع في كثير من الأحوال إلى نسبة الوفيات في سن الطفولة كبيرة..، وبالتالي فان مثل هذه الشعوب تكون (شعوباً من

الأطفال).. أي أن أكبر نسبة من السكان هم من صغار السن.! بينما في السويد وغيرها من الدول المتقدمة معظم السكان من الشيوخ، وبالتالي كلما كان المجتمع بدائياً ومتخلفاً..، كان أفراده من الأطفال السقام.. والشباب ضعيف البنية.. والرجال خوار الأجسام!

في المجتمعات المتأخرة — يكثر النسل (ولعل الناس يشغلون أنفسهم بما هو أهم..!).. والوعي الصحي ومتطلبات الرعاية الصحية غير متوفرة..!، فكثير من هذا النسل ينتهي بالإجهاض.. وجزء من هذا (النتاج) يلقى حتفه، أثناء الولادة (لندرة الرعاية الصحية).. وجزء — من هذا النسل أيضاً —.. يتوفى بالأمراض المعدية.. والنزلات المعوية.. التي تصيب الأطفال وتنتشر في المجتمعات — المتخلفة —.. التي لا تمكنها مواردها وإمكاناتها من القضاء على الأوبئة، وسوء التغذية...!... الخ.

ومن يستمر في الحياة — من هذا النسل — تلاحقه (السيارات) وحوادث المرور..! فتقضي على الجزء الآخر..! ثم تدب الشيخوخة في الشباب.. الذي يمرض بالروماتيزم والبلهارسيا وفقر الدم والسل...! الخ.

وبالمناسبة.. يقاس تقدم الشعوب — وتطورها — ضمن ما يقاس به — هو متوسط عمر الفرد فيها...!

فالثروة قد تحول الصحراء إلى (جنائن) ومزارع خضراء.. ورفاهة وخير..، وقد تنير العقول بمشعل العلم — والمعرفة —.! وتنشر الثقافة والوعي..! فيتضاءل المرض (وتتحسن) الصحة..! و يطول عمر الفرد — بإذن الله — وقد تحول الثروة (وكثرة الفلوس) أفراد المجتمع إلى ملاك (سيارات).. و يصبح الطفل قادراً على امتلاك (العربية) قبل (امتلاك) الوعي — والثقافة — وحسن التصرف.

..! وتصبح السيارات وسيلة من وسائل (تقصير) العمر.

بأيِّ ذنبٍ

لا أعرف من أعطى بعض الناس الحق في أن يخططوا لكي يمكن التخلص من ملايين البشر— قبل أن يروا النور..؟

في العالم اليوم العديد من الهيئات والمنظمات المحلية الرسمية وغير الرسمية.. التي اتخذت لنفسها أسماءاً وأهدافاً عالمية.. —يحميها— كلها سحر (تحديد النسل) وإنقاذ البشرية ووقف الطوفان (البني آدمي) والاكتفاء بمن وصل إلى هذه البسيطة.

أما القادم الجديد —إلى هذا الكون من البشر— فلا بد له من الحصول على تأشيرة - Visa دخول إلى الأرض..! هذه التأشيرة —وإن كانت— في كثير من

أنحاء العالم لا تزال اختيارية وسهلة الحصول..!.. إلا أنه، أصبحت حرية التصرف في الإنجاب وادخال طفل إلى هذا العالم تتطلب شروطاً تختلف من بلد لآخر ومن مجتمع لمجتمع...؟

مثلاً، لا بد أن يكون للشخص (الشقة) الواسعة والدخل الوفير، الزوجة التي لا تعمل والتي تتمتع بصحة جيدة.. وكلما تحسن دخل الفرد وارتفع مستواه الاجتماعي وإدراكه لمسؤولياته.. كان قرار الحصول على تأشيرة أكثر صعوبة ويحتاج إلى تفكير..؟

وفي بعض الدول - كالصين- مثلاً- لا يمكن أن يعطي الفرد (تأشيرة) إدخال أكثر من طفل إلا بصعوبة -وإذا خالف ذلك- فسوف تصادر وسائل الإنتاج.!.! لديه بقفل طرق الوصال (بالتعقيم).!

ومن شروط الحصول على تأشيرة - إحضار طفل إلى هذا العالم - يجب أن تتخطى حواجز استعمال -أقراص منع الحمل- واللولب، والغدد، فترة الأمان... ...الخ.. الخ، وإذا حدث سهواً أو خطأ -وركب طفل (جنين) قطار الحمل إلى هذه الدنيا.. دون الحصول على Visa لحقته الدورية (البوليس الطبي) -بالقضاء عليه بالإجهاض- أصبح إسقاط الأجنة قانوناً معترفاً به في معظم دول العالم.. حتى لقد (أسقط) في أوربا الملايين من الأجنة.. وفي أمريكا -وحدها- أسقط هذا العام أكثر من (٣٠٠ر٠٠٠) جنين.

أما إذا تكررت المخالفة لقانون -تحديد النسل- فسيكون العقاب هو -التعقيم- ربط الأبواق أو القنوات المنوية..!

يقولون: أنه بهذه الأنصبة -المدروسة- أمكن السيطرة على عدد القادمين إلى هذا الكون الفاني..! لقد نقص عدد (السياح) حوالي مائة مليون سنوياً..؟

السؤال هو:

ماذا كان يمكن أن يقول (هؤلاء المائة مليون) الذين لم يروا النور - لمن سبقوهم على هذه البسيطة وتحكموا في مصيرهم:

..بأية ذنب قتلتنا؟

من أعطاكم الحق في أن تحرمونا من الدخول إلى هذه الحياة؟؟؟

الحياة والحفاظ عليها

إذا حاول المرء أن يستعرض الفرص التي منحت له (للحياة)،.. ولكي يعيش.. في فترة تعتبر من أدق مراحل نموه وتكوينه —والمقصود مرحلة حياته —وهو جنين— ثم ما مر به أثناء ولادته..، وأقسى ساعات العمر هي عند (الخروج) إلى هذه الدنيا ومحاولته التأقلم في جوّها، وتثبيت أقدامه.. على هذه البسيطة (ولو عرف ما وطأ..).

فلو حاول استعراض ذلك، لأكثر الحمد والثناء لله عز وجل.. خاصة إذا كانت حياته المديدة عامرة بالخير، والفائدة له، ولغيره من الناس.!.

إن حياة الإنسان مهددة منذ اللحظة الأولى، ومع تكوين أول خلايا جسمه داخل الرحم..، فقد كان بالإمكان أن ينتهي تكوينه ووجوده بالإجهاض بنسبة (١ : ٥)، حيث أن الإحصائيات الطبية الدقيقة أثبتت أن نسبة الإجهاض في أي حمل تصل إلى ٢٠٪، أو (١ : ٥) في الشهور الأولى من الحمل..!، فإذا مرت هذه الفترة بسلام، وكتب له أن يستمر في النمو داخل الرحم، و يصل إلى الشهر التاسع مع الحمل، فإنه

يمكن أن يلقى حتفه أثناء الولادة، أو بعدها مباشرة (وخاصة في الأسبوع الأول) بمعدل (٢٠ : ٩٠ في الألف). والفارق الكبير في هذه النسبة (الفرصة)..، يتوقف على المكان والزمان والبلد الذي ولد فيه، وعلى يد من استقبل.

ففي إفريقيا وبعض الدول النامية.. غيره في السويد وأمريكا مثلاً..، في أول هذا القرن غيرها في أواخر عام ١٩٧٠، وفي المدينة غيره في الريف، وعلى يد فلان، غيره على يد (الداية فلانة)..، وهكذا.

فالاجهاض، ويعرف بأنه (إسقاط الجنين — الحمل)، قبل: أن يكتمل نموه ويصبح قادراً على الحياة بمفرده، وقواه الذاتية خارج الرحم — أي قبل الشهر السابع من الحمل —..، من الصعب تلاقي معظم أسبابه، حيث أن ٧٠٪ من تلك الأسباب غير معروفة، وترجع إلى ضعف النواة الأولى التي تكون منها الجنين نتيجة لقاء (الحيوانات) المنوية والبويضة، فقد يكون كلاهما أو أي منها غير سليم أو ضعيف لا يمكن الجنين الاستمرار في الحياة والبقاء..، فهذه الأسباب، وهي الأكثر شيوعاً قد لا تكون المرأة وحدها المسؤولة عنها — وذلك للإنصاف.

لهذا، نجد الأطباء غير قادرين — في كثير من حالات الإجهاض — على درئه، وإعطاء العلاج المناسب..، ولكن هناك أسباب أخرى متعددة تؤدي إلى إجهاض الحمل، يمكن تحديدها، ويجدى فيها العلاج — يضيق بنا هذا المقام عن سردها.

وعلى كل، فليس الإجهاض مرة أو حتى أكثر، بدليل على أن الحمل التالي لن يكتمل، وأن الأسرة لن ترزق بمولود سليم.. بل أن هناك حالات كثيرة من الإجهاض المتكرر، أمكن أن يثمر الحمل التالي لها، (... وخلفوا صبيان وبنات..).

أما كيف نحافظ على هذه الفرصة التي منحت لنا — لكي نبقى ونعيش — فقد قيل: (بالشكر.. تدوم النعم.!).

إبن سبعة

يقولون : أن نابليون كان ابن سبعة اشهر — (سباعي) — كما أن تشرشل لم ينتظر داخل الرحم إلى تسعة أشهر (سباعي أيضاً)، وغيرهم من العباقرة. كثير. ومن غير العباقرة من لم يكملوا المدة (الطبيعية) للحمل أكثر..!، ولا شك أيضاً أن هناك كثيرون دخلوا سجلات التأريخ أو دفاتر النسيان، وهم أبناء ثمانية.!

هذا يقودني إلى الاعتقاد السائد (وخاصة عندنا) بأن ابن سبعة يعيش وابن ثمانية لا يتحمل الحياة فيفقد..!. والواقع أن ابن (سبعة) أو (ابن ثمانية) في عرف الطب — طفل غير ناضج أو كامل النمو Premature و يعرف الطفل غير كامل النمو (بأنه طفل ولد قبل الشهر التاسع للحمل، أو قبل ٣٦ أسبوع من الحمل)، وأن وزنه عند الولادة أقل من ٢٥٠٠ جرام، .... الخ. وبالمناسبة أيضاً فان مدة الحمل ٤٠ أسبوعاً ومتوسط وزن المولود عندنا — حسب ما دلت عليه إحصائية سريعة عملت هنا في المستشفى الجامعي — هي ٣١٠٠ جرام، وللمقارنة ففي بريطانيا — متوسط الوزن عند الولادة — مثلاً ٣٤٠٠ جرام.

وفي عـالم الطب أن ابن السبعة شهور (السباعي) أقل نمواً وأقل وزناً من ابن الثمانية شـهـور..! حيـث أنـه كـلما أطال بقاء الجنين داخل الرحم إزداد وزنه وحسن نموه..! وبالتالي فالمتوقع أن ابن ثمانية شهور يكون أجدر بالحياة والبقاء..!

أمـا الاعـتـقاد الذي بني عليه —فكرة ابن ثمانية— نجده مؤهلاً للاستمرار في هذه الدنيا..!، فقد يرجع ذلك إلى أن بعض الأطفال، وإن كان نموهم استمر داخل الرحم ثـمـانـيـة أو حتى تسعة أشهر أو أكثر..، فإن وزنه ينقص وقدرتهم على البقاء تضعف، وذلك بسبب تعرضهم أثناء الحمل لما يؤثر على صحة ونمو —المشيمة—). وبالتالي على كـمـيـة الـغـذاء الـواصـل إليهـم..، ويـسـمـى هـؤلاء الأطـفـال (ضـعـاف النمو أو الـنـضـج Dysmature). الـتأثير على صحة (المشيمة) عادة بنتيجة تعرض هذا الحمل إلـى مضاعفات، كتسمم الحمل والأمراض الأخرى المصاحبة للحمل كمرض السكر والزهري والضغط...، وغيرها.

والـتـكـنـولوجيا الحديثة قد مكنت الإنسان (بأن يتعلق) بأهداب الحياة!!! حتى ولـو لم يكتمل نموه..! وذلك بإتاحة جو صناعي يقدم له الأكسجين والغذاء والرطوبة، ودرجة الحرارة المناسبة— جواً مماثلاً لما في داخل الرحم.

إذاً، فـلينعم الجيل القادم بما أفاء الله على بعض خلقه من العالم، ويا حسرتي على الأجـيـال التي سبقت عصر التكنولوجيا..! سيكون طفلك ابن سبعة أشهر مثل نابليون وتشرشل..، أو ابن ثمانية أفضل.

والله أعلم..



الفصل الثالث

لمسة حنان



لمسة حنان

أخذ يقلب في صفحات (اليوم) الصور.. وتوقف عند صوتها.. تأملها طويلاً..
إنها جميلة.. كانت جميلة جداً.. رشيقة القوام، فاتنة المحيا.. حلوة.. ابتسامتها سرقت الإضاءة من بريق ورونق الصورة (اللميع).. الشعر الطويل.. الخسر النحيل.. القوام الممشوق.. آه.. إنها صورة أيام الحب.. الأول.

مرت سبع سنوات.. ثلاثة أطفال.. ليس هذا فقط.. لكن عشرة (كيلو) من اللحم والشحم.. غطت تقاسيم الجسم النحيل.. والقد الممشوق — ذهب الشعر الذي كان كخيوط الليل— يكسو الجسد بدون (ملابس).. أصبح بضع سنتمترات.. لا يستطيع (المشط) أن يسرح فيه..!! ارتخت عضلات الوجنتين.. أغارت في تجويف الفم.. شردت الابتسامة..! وحلت بالوجه الوضاء.. مسحة من الحزن.. (والهم).. والفرق سبع سنوات.. ثلاثة أطفال، أو مسؤولية..!

صورة —هو— في الألبوم:

..نحيل مشدود، يحاول أن يبدو أكبر من سنة، وأصلب من عوده.. لكي يظهر أكثر جدارة.. من الغزال الواقف إلى جواره.. —لكن خلف هذا المظهر المفتعل.. قلباً حنوناً.. إنساناً طيباً..!

لكن، في السبع سنوات – كان هناك.. المركز المرموق.. الكلمة المسموعة.. الجاه.. المال.. في العمل – الكل يلاحقه ليحظى بتوقيعه.. في السيارة رنين (الهاتف).. (يشوش) على صدى المذياع.. في الدار.. مع الجرائد.. بالأخبار.. والأوراق.. تسلية الأصدقاء..

هو بعيد – سجين – داخل جدار المسؤولية..

..وهي بعيدة.. سجينة المنزل.. المسافة الفاصلة.. في عمر السنين سبع سنوات.. وبالاختصار.. بضع سنوات فقط.

ما العمل؟؟؟

.. كيف الوصال؟

.. .. القرب .. إعادة مشعل الحياة.

لقد وجد الحل.

قفل الألبوم – اتجه إليها – مصمما على كسر جدران (الهجر) – أعاد وصل خطوط الحياة.. بين أروقة المنزل.. وضجيج (المغسلة)، وماكينة الكهرباء.. وضع البلسم.. إنها لمسة حنان..! اهتز لها كيانها.. شدت قوامها.. (سرحت) شعرها (خففت) من أكلها.. لمسة حنان كانت في أشد الشوق إليها.. أعاد الجمال إلى محياها..!

كان ذلك منذ عام..

انها الآن صورة أخرى في (ألبوم) السعادة.. صورة حلوة.. رصينة.. أنيقة.. عذبة ممشوقة القوام!!

..حلوة اللسان.. فقد عرف: الحب والحنان.. الطريق مرة أخرى إليها.. بلمسة حنان.. يا حنان.

..يقولون:

إن في استطاعة أي رجل – أن يجعل من أي امرأة أسعد امرأة في العالم.. وأي امرأة يمكنها أن تجعل من رجلها أسعد رجل في الدنيا..بتجربتها.

أباريز الحياة!

هي.. هي حلوة وجميلة.. وهو وسيم..! تعارفا.. تجاذبا.. انصهرت نفساهما..

ذابت الفواصل.. الثياب.. الهواء.. المجتمع، المسافة.. كل الحواجز.. قد تلاشت..

بفعل لهيب الحب..!

وأصبحا جسدين.. بروح واحدة.. نفس واحد.. فكر واحد.. حلم.. واحد..! لفهما الصمت.. النظرة تعبير تشمل.. أرق قصائد الحب والغزل —تعبيراً.. أصبحت الهمسة.. رضا..! واللمسة نعيماً.!! الكلمة قبل أن تقال تفي.. بالحال..!

تزوجا.. التحم الحنين والحب.. وتوثقت الصلات.. زالت الكلفة.. وأصبح الكل للكل..! وتلاشى الخوف.. وانعدم القلق..!! الخوف من فقدان الحب والمحبوب.. والقلق على مصير العلاقة الحلوة الجميلة، .. الخوف.. القلق: (مشعل) نار الحب— إذا تلاشيا (الخوف— القلق) فلا بد من البحث عن (ولاعة) عن (ملح) عن (أباز ير) لتغذية الحب.. والحياة.

دارت عجلة الحياة.. أصبحا أسرة.. وأثمرت العشرة.. وامتلأت الدار بنور
—الأطفال— كان هو الكل في الكل أصبح هو وإنتاجه بمثل الكل..!

الأمومة أخذتها بعيداً عن الرومانسية والهوى العذري.. ومعركة الحياة.. بناء المستقبل.. الوصول إلى المركز.. والجاه.. المنطق ولغة العقل تحتل رو يداً، رو يداً (محل) التعابير الرقيقة همسات الحب، لمسات الحنان..!

شح اللقاء.. الذي ليس ككل لقاء.. هو معها بجسده.. بصوته.. وجر يدته.. وهي معه بأطباق الغذاء.. كي الملابس وعناية الأطفال، .. لكن المسافة قد بعدت.. احتل العمل.. والأوراق (وروتين التليفون) وصراخ الأطفال.. وغسل الأطباق.. الفراق الوهمي بين الجسدين، والروحين. يتقار بان أحياناً —في بعض الليالي— لكن للحظات..!

(ضعيف) الحب.. وللحب أيضاً بداية ونهاية.. لكن حلت الألفة والمودة..

الألفة بلسم لضعف الحب وجراحه، والمودة تمكن العشرة —الجميلة— من الاستمرار— وتبقى الحياة.. في حاجة من وقت لآخر إلى (ملح) أو (أباز ير)..!

لحظة سعيدة

ليس في هذه الحياة سعادة دائمة!. ولا شقاء دائم.. إنما هناك لحظات سعيدة!.
من يبحث عن السعادة الدائمة —في هذه الدنيا— فهو في —رأيي— كمن يبحث عن مستحيل.!

ولو وجدت لفقدت!؟

والواقع لا أنا ولا أنت نريد العيش في سعادة دائمة لأن ذلك لا يتأتى إلاّ بتبلد الحس— والشعور..! فالذي يجعل للأشياء معنى وإحساس جميل يداعب الأعصاب..

هو إدراكنا بإمكانية فقدان ذلك الشيء.. وقابليته للزوال والتلاشي.. ومن اغتر بغير ذلك فقد جهل طبيعة الأشياء.. الأعصاب الحسية في الجسم تحس البرد والحر والألم..

وتشعر بالدفء— والحب والحنان.. والخوف وذلك في بدء (دقدغت) الأعصاب وتنبيهها ولو استمر المؤثر— كالألم— لأخذت الأعصاب تدريجياً في فقدان شدّته وتأثيره وتلاشت شدة الألم.

هل تعرف طعم الغذاء.. وحاسة الشم تتغير بمرور الزمن.. طعم (اليوسف أفندي) رائحته اليوم عندك.. غيرها قبل عشر سنوات مثلاً؟ ليس لأن اليوسف أفندي قد تغير.. بل لأن كيمياء الأعصاب قد تغيرت لديك..

لو أن سعادتنا بناء الفيلا التي نحلم بها استمر معنا وأعطانا سعادة دائمة لنا فكرنا في بناء العمارة.. (وشاليه) على البحر.!

حتى الحب.! يتحول إلى ألفة ومودة وتعود.. ولكن يعود إلى حب ولهفة متى شعرنا — بخطر فقدان.! وبعد مناله.. أو شعورنا بأن الوصال محال (كما يقول نزار)

أعزائنا.. كون الشعور لحظة.. والسعادة دقائق.. هي نعمة.. فإن الألم والهم والحزن أيضاً لن يدوم..!

فلنطمع بلحظات سعيدة..! ولنكثر من تلك اللحظات.. ولندرك بأنها قصيرة..

وسوف تتلاشى بالتعود.. إذا لنجعل من اللحظة فترة.. ومن الفترة.. دهراً.!!

جعل الله كل أيامكم سعيدة!!؟

هل.. الوحدة عبادة ؟!

إذا استثنينا خلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم — في الغار.. قبل بدء الوحي..

وهروبه من محيط الجهل والضلال — واللجوء إلى خالق الكون في التفكر والتدبر ومناجاته إذا استثنينا هذه الخلوة — الروحانية.. العظيمة.. فإنه يمكن أن نتساءل وهل الوحدة عبادة...؟

أعتقد أن ذلك متوقف على الإنسان — المكان والظروف.. هناك (وحدة) اختيارية... وهي لفترات مؤقتة... يختار فيها الإنسان أن يكون (وحده) مع نفسه.

أو هناك — وحدة— تفرض على الإنسان.. ولا أقول — الوحدة العقابية— كالسجن— إنما وحدة يفرضها المجتمع...؟

الوحدة التي يختارها الإنسان لنفسه... هي التي تعود عليه بالخير والبركات.. في هذه (الخلوة) يجد نفسه يتفكر في دينه ودنياه وفي الملكوت حوله.. و يتفكر في ألاء الله

وقدراتـه.. يـنـاجـي ربـه ويعود بعد لحظات من هذه الوحدة بنفس مطمئنة.. وروح شفافة.. وفكر نقي خلاق عطوف.. جربوها وسوف تذكروني!!

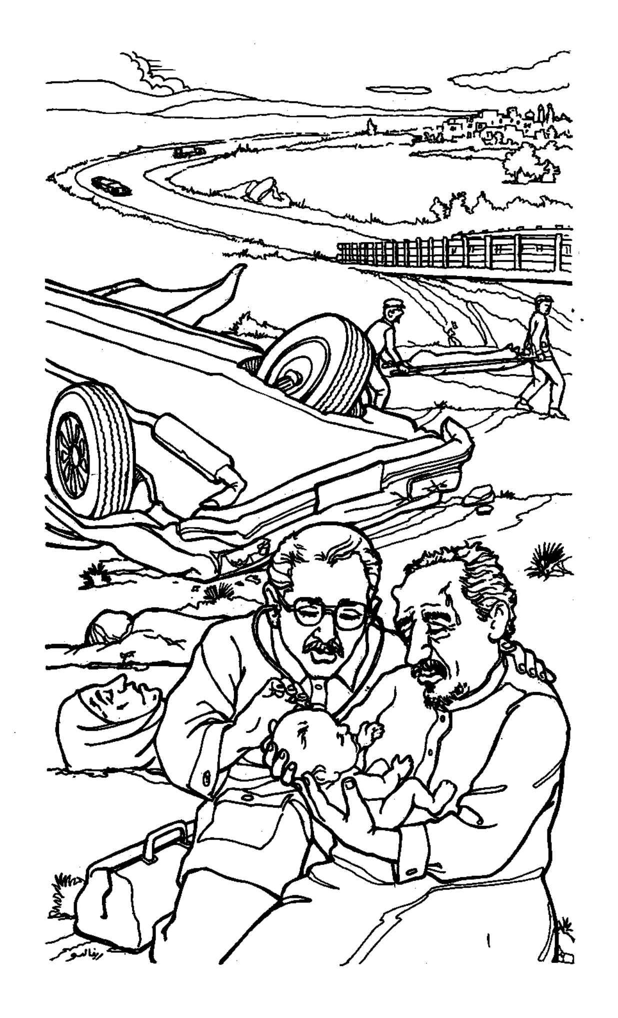
هناك أيضاً وحدة اختيارية — ولكن مع النفس ووساوسها.. وهي مضرة للنفس والبدن.. ومضيعة للوقت.. وفناء للروح..!

أما الوحدة التي تفرض على بعض الناس.. وخاصة فيا يسمى بالمجتمعات المتقدمة فهي عذاب.. تخلى الناس عن بعضهم.. أصبح الفرد لا يتحمل إلا مسؤولية نفسه..!

عـنـدمـا يـبـلـغ الـفتى أو الفتاة.. الحلم.. عليه شق الطريق بمفرده في خضم الحياة.. ولـعل الأقسى والأمر — هي الوحدة — التي تفرض على كبار السن من الآباء والأجداد والأقـربـاء.. أخشى ما يخشاه الإنسان.. هي الوحدة وخاصة في الكبر.. لك الحمد يا رب.. فإن المجـتـمـعات المسلمة وبما أنعمت عليها من الهداية والإيمان.. لا تزال تقاوم ضغوط الحياة الأميرية التي من مساوئ تعاليمها (الكل مشغول بنفسه)!.

أتـمـنـى أن نتمكن في خضم العمل واللهو والحياة وتياراتها أن نجد لحظة خلوة (أو وحـدة) مع النفس.!.. أتمنى أكثر أن لا تدع الوحدة أن تفرض على عزيز لدينا فإنها قاتله.. ليت من وجد نفسه (في وحدة) أن يجعل من تلك الوحدة عبادة.

الفصل الرابع



قصص من الحياة .



دِرهَـمٍ عَقـل .. وَلا قنطـار ذَهَـب

قد لا يوافقني الكثير على هذا – الكلام.. وخاصة أن سعر الذهب في هذا الزمان.. أصبح لا يستهان.. ولكن كان – بإمكان.. فلان وعلان.. (خبط) الحظ مع فلان، فاشترك في – مساهمة كبرى في الوقت المناسب – فتحولت آلاف الريالات القليلة.. إلى ملايين كثيرة – في فترة صغيرة..! لم يكن فلان يعرف من

حال هذا الزمان سوى الجلوس في (الدكان)..! وإن أراد الخروج عن المألوف، فقد يسافر إلى مكة ليطوف..! أو إلى البر لكي يقضي يوم أو ليلة و يعود إلى حاضره

المألوف..، لكن – بعد الحصول على الملايين.. وأصبح من الميسورين، قرر أخذ الزوجة والأبناء.. والذهاب إلى أرض الله الواسعة.

كان البدء برحلة متواضعة.. قوبل بترحاب يفوق الذي تعود عليه في الديرة.. من الأحباب والجيرة.. خلع الثوب وليس البنطلون وركب التاكسي.. وأخذ العشيرة –

والشبشة.. وذهب إلى شارع (النغم). واليوم وقد أخذ جزء من الليل وانصرم دخل إلى ملهى (...)، وقوبل بالترحاب وحجزت له أقصى مائدة من الباب..! وضعت الشبشة على حافة المسرح (وتعلق الأطفال) على الكراسي والموائد في فرح.. واسترخى بجسده على كرسي ووضع رجله على الآخر..، والأهل والأولاد على باقي الكراسي..، وبدأ البرجرام، وترنحت الغواني.. شادت الألحان... راس شيشه رايح وراس جي.. والأستاذ.. والمحاظيظ.. يغدقون من قنطار الذهب.. على الشادي وصاحب البوق النفير،.. وهو في غاية الحبور.. لأنه يعمل كل ذلك، بفلوسه،.. مسرور.

ليتني أستطيع أن أتجول في فكر هؤلاء الصبية — ما بين الثالثة والثالثة عشرة.. ليتني أستطيع رسم بصمات هذه الطفرة من الحارة والمسجد والدكان، إلى حوانيت — ملاهي هذا الزمان.. بدون مقدمات، أو ترجمان.

لو استطاع شراء نصف درهم عقل.. بنصف قنطار من الذهب — لما حمل الأطفال والزوجة.. والشيشة.. وذهب!!

قصّة مِن الحيَـاة .. !

في العالم يعيش — حسب آخر إحصائيات (المجلة الطبية السعودية) —حوالي ١٢ مليون شخص مصاب بمرض (الجزام)..!

لقد أخذ هذا البلاء —ولله الحمد— في الإنحسار، بعد أن خلف الكثير من المآسي والشقاء.

وهذه القصة —حدثت، وأبطالها من نزلاء (المصحة) المتخصصة لهذا المرض عندنا. هي: أصيبت بمرض الجزام.. ولكن تشخيص المرض لم يتم إلا متأخراً..! بعد أن أخذت المظاهر الخارجية للمرض تأكل في أطرافها وجلدها.. لجأت إلى (المصحة) المتخصصة في هذا الداء.. أخذت العلاج المناسب وتمكن الأطباء من وقف انتشار المرض.. وقيل لها، لقد أصبحت إنسانة —معافاة— ما عدا ما ترك على جسدك من بصمات المرض...

وخرجت إلى المجتمع —بشهادة— شفائها..! لكن هذه (الشهادة) لم تكف

لتأهلها — للمرور — بين الناس والاختلاط بهم..؟ فالناس، بعض الناس بغير إحساس..!!

أخيراً.. قررت العودة إلى (المستشفى)، فهي هناك بين ناس.. ينبذهم الناس.. فكونوا مجتمعهم الخاص..!

هو.. هو أيضاً — يمر — بنفس المراحل : مرض — علاج — شفاء — بدون فائدة.. شفاء من مرض، لكن ليس عودة إلى حياة الناس..!

هي : شابة لم تتجاوز الخامسة والعشرين.. وهو في ريعان الشباب.

تعارفا.. تفاهما.. هي من ضمن (٤٤) مريضة يقطنون مستشفى جدة.. وهو أحد (١٢٦) مريضاً..!

قررا أن يتزوجا.. ويكونا حياة خاصة لهما..! ضمن حياة من على شاكلتها..! تقدم لأهلها وذويها — لخطبتها —، (فاندهش) الأهل والأقارب..! كيف يمكن ذلك؟

ما مصير الحياة الزوجية؟

(ما نوع) الذرية.

رفضوا. ولم تجد توسلاتها.. ولا وساطة أصدقائها..! فلجأ إلى مجتمعنا الخاص.. إلى (إخوانهم) نزلاء المصحة.

(دبروا المهر).. (هيؤوا المسكن.. نسجوا ملابس العرس.. أقاموا الشهود، وحضر (الملك)..! عمت الفرحة.. وتم القران، وبالرفاء والبنين.

أحياناً : ويل للناس من الناس.

شـــطارة .. !

أدخل أحد السجون —في تركيا— بتهمة التهريب— وطار والده من أمريكا لكي ينـقـذ ابـنه من السجن وأحواله.. فكيف يسجن؟ ابن (العز) في بلد متأخر..! لا بد من عمل أي شيء.. استخدام النفوذ —الفلوس— والشطارة،، الأساليب الشرعية..

وغير الـشرعـيـة.. كانت محاكمة المتهم على وشك أن تبدأ.. وكان المفروض أن يحكم عليه بالسجن عدة أعوام.. فهذه عقوبة مثل تلك التهمة..!

قال الأب:

.. لا يمكن أن يسجن ابني عدة أعوام.. وكأنه مجرم (عادي)؟؟
فما العمل؟

..لا بد من البحث عن مخرج.

وأخـيـراً.. وجد المـنـفـذ.. إنـه المحـامـي (...) الـذي قـفـزت بـه شـهـرتـه..

(وشطارته).. كل الحواجز.. ولم تستعص عليه أية حالة كانت كبيرة.. أم صغيرة.. فالكل له أصدقاء.. وبهداياه.. لرغباته مستجيبون..؟

هذه المقدرة — والحق يقال — لم تكن مبنية على الحق والبرهان. ولم تكتسب بالعلم.. والمعرفة..! وإنما بالشطارة.. (والفهلوه).

يبدأ — المحامي — يستخدم قدراته — واستطاع أن يؤجل المحاكمة...! فرح الأب.. واستبشر.. ولكن — لا بد من إخراج — المجرم (الغالي) من السجن — فوراً!
حاضر.. أفندم بعد أسبوع.. وبعد شهر.. باقي يومان — والحكم يؤجل — والمدة.. ولم تحتسب بعد..!

.. ويدور الزمن دورته.. وتتغير الحكومة.. وتظهر أخرى.. ويستبدل وزير العدل.. بوزير عادل.. والثاني بقاضٍ من نوع آخر.. ومع الكل تتغير مواد الدستور..!

ويصبح التهريب.. جريمة فظيعة.. في نظر الدستور الجديد.. والوزير الجديد.. والقاضي الجديد. ولكن المحامي (القديم) لم يستطع بعد بسط سلاح.. نفوذه (وشطارته) على الحكومة الجديدة..!

والنتيجة.. تطبيق مواد الدستور الجديد على الغني والمجرم — ابن العز — وتعقد المحاكمة — يصدر الحكم.. بدلاً من الحكم بالسجن عشر سنوات.. كما كان في بنود الدستور القديم.. تطبق عليه اللائحة الجديدة من أحكام التهريب.. في الدستور الجديد.. ويكون الحكم.. بالإعدام.!!

إنها.. جزء من قصة حقيقية (محورة) صدرت منذ أشهر.

عم جابر

عم جابر رب أسرة مكونة من مجموعة تضم خمسة أطفال..، دخله الشهري متواضع جداً.. فهو يعمل (مراسل) يسير يومياً من منزله في أحياء جدة القديمة إلى مقر الجامعة..! (..مشوار..)! يمشيه لا حباً (في الر ياضة)، بل توفيراً في الدخل..! لما هو أهم.

بحكم (سنه) ونشاطه وصرامة ملامحه، فهو يحكم الجميع بما فيهم (العميد)..، يجب أن يستأذن منه إذا أردت البقاء —في المكتب— بعد الساعة الثانية والنصف. وإلا أطفأ الأنوار (والمكيف)..! وفتح الباب الخارجي.. منتظراً انصرافك..! ولا ينبهك..!.. نشيط.. مخلص،... وفي حاله.

مرض، تعب، سعل...، ولا زال يمشي من منزله إلى الكلية.. تألم من جنبه وصدره، ولكنه يكتم شكواه. يا عم جابر: إذهب إلى الطبيب؟ يقول: (الله هو الشافي)، ونعم بالله، ولكن —مثل عم جابر لا يحتاج إلى من يدله على الطبيب..!

كيف يحتاج شخص –مثل عم جابر– إلى مساعدة في الوصول إلى العلاج..! وهو بحكم عمله يسير يومياً بين الأطباء والمرضى.. وطلاب العلم.. و يقدم (الشاي) والبر يد والجرائد لأساتذة الطب وتلاميذه وللأسرة (المعالجة) كلها..!

نعم، فعم جابر يعمل بكلية الطب، ناقل الرسائل بين الكلية والمستشفى.. والكل مدين له..، لكنه يصر على أن لا يعطي (هؤلاء الذين يعملون معه في نفس المصلحة) فرصة لأن يمارسوا مهنتهم (الإنسانية) في جسده المر يض،.. الله قدر المرض.. الله يقدر الشفاء..

و بعد إلحاح ورجاء قبل الدخول إلى المستشفى..

وأسرع المختصون (ز بائن عم جابر) يحاولون كشف مرضه وتشخيص علته.. أجر يت التحاليل، أخذت الأشعة، وظهرت النتائج الأولية..!

عم جابر مصاب (بسرطان في الغدد اللمفاو ية).! ولا بد من التأكد.. ولا يتم ذلك إلا بأخذ عينة من أحد تلك الغدد..! بواسطة عملية جراحية بسيطة.

ورفض عم جابر..، وهرب من المستشفى والكلية.. يطلب الشفاء من الله، ونحن ندعو له.. ندعو الله أن يكتب الشفاء له.. وأن يلهمه أن يعود إلينا.. و بإلهامك يا الله قد نجد له بعض الشفاء.

ليت عم جابر يقرأ هذا الحديث الشر يف– (ولكنه لا يقرأ ولا يكتب)، في المسند والسنن عن أبي خزامة قال: (قلت يا رسول الله: أرأيت رقي نسترقيها، ودواء نتداوى به، تقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً)؟

فقال: (هي من قدر الله). صدق الرسول الكريم.

عـاد عـمّ جـابر

عم جابر.. ما هو بالرجل البدين.. ولا ذي الهامة والقامة.. قليل البنية..! نحيل الجسم.. عاد يمشي.. لكن بين كتفي رجلين من أهل حارته.. صعب عليهم حاله..! فقد اشتدت عليه العلة والآلام..! نقص وزنه —ضعف حاله.. ما بقي لا يز يد عن هيكل عظمي مكسو بالجلد...!

أين كنت يا عم جابر؟

قال : لقد تعبت.. ساعدوني!! اعملوا أي شيء؟

ولكن ما هذه الجروح؟

إنها آثار كي.. كويت بالنار وزادت النار.. وزاد الألم.. فقد نصحني أهل الحي.. بأن الكي آخر العلاج.

ولكن في حالة عم جابر.. لقد أخر الكي العلاج.. فزادت العلة علة..!

لقد سر زملاء عم جابر بعودته.. (فعم جابر — كما كتبت سابقاً— كان يعمل

مراسلاً بكلية الطب..! –يقدم الشاي للأطباء وأساتذة الكلية، ويحمل الرسائل بين المستشفى والكلية...!!

فوراً عملت الترتيبات.. داخل المستشفى.. أجريت الفحوص مرة أخرى.. لقد ساءت حالته، واستشرى المرض، لقد كان سريان مرض السرطان بجسده.. أسرع من عودته إلى المستشفى –بعد هروبه من إجراءات التحاليل– عندما أدخل المستشفى في المرة الأولى.

لقد تخطى –مرض السرطان بجسده– إمكانات العلاج المجدي (مشكلتنا) مع (السرطان) والأمراض الخبيثة.. إنها تتحدى..!! عندما تكشف عن نفسها تكون واثقة من موقعها..!؟ متمكنة من الجسد.. والعضو.. والعظم...! فتشعرنا (نحن الأطباء) بالعجز و..الاستسلام.

ولكن – عندما – نترصدها.. ونقتفي أثرها.. نتحسس خطاها نكتشف أول بصماتها.. نستطيع أن نبترها ونقضي عليها..! وننتصر... لذا الفحص الدوري والبحث عن تعليل لكل ما يطرأ أو يظهر على الجسم... فوراً لهو خير من ألف علاج..!

لقد ساءت حالة عم جابر.. تألم كثيراً.. فقد الصبر.. وبكى وأبكى، الجميع... وهدد بالهرب –مرة أخرى– إذا لم نجد له العلاج السريع.

يقول: أنتم مدرسة الطب، ولا تجدون لي علاجاً؟

– نسي عم جابر أننا لم نؤت من العلم إلاّ قليلا.

ونعود من حيث بدأ.. نطلب معه – له – الشفاء من الله.

الحلقة الأخيرة

عم جابر..

..عاد من المستشفى التخصصي بعد أن أخذ (كورس) علاج.. بالذرة — للسرطان المنتشر في جسده.. وعلاج السرطان — ، عادة يكون اما بالجراحة حيث يستأصل الورم والمنطقة المحيطة به والغدد اللمفاوية التي — تهرب — إليها الخلايا السرطانية، لكي تمارس — قتلها بالجسم فيما بعد.. أو يعالج انتشار السرطان بالذرة — والعلاج الإشعاعي.. حيث تصل الإشعاعات الناتجة من الأجهزة الضخمة التي تولدها إلى خلايا الجسم.. وتأثر بصفة خاصة في الخلايا السرطانية فتوقف نموها وحيويتها وتقضي عليها.. أو قد يكون العلاج بالاثنين معاً.. أو علاجاً ملطفاً مؤقت يقضي على الأعراض.. ولا يؤثر في مسرى السرطان بالجسم.. علاج لا يطيل الحياة.. ولكن يجعلها أقل صعوبة.. إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

عم جابر..

..عاد وحسب أن العلاج قد شفاه.. فقد استرد بعض عافية تمكنه من المشي إلى دورة المياه.. الأكل بشيء يسير من الصعوبة.. النوم بأقراص منومة.. لقد أمكنه أن

يتعايش مع الألم !! الألم بعد طول الممارسة والمعايشة.. لا يصبح ألماً.. إنما مضايقات للحياة، فرحت به أسرته.. أقاموا وليمة على سلامته.

.. لكن التقرير الطبي – المرفق معه – يقول:

.. نأسف.. لم نستطع القضاء على السرطان.. فقد كان أسرع من أن نلحق به.. وقررنا إرساله ليمضي ما بقي له.. في هذه الدنيا.. من عمر مع أهله وذويه..!

عم جابر..

.. يعتبر من مؤسسي كلية الطب وكلية العلوم الطبية والمستشفى الجامعي.. فهو: أول من أسند إليه عمل الشاي لي عند قيامي بالعمادة.. وإنشاء الكلية.. كان مخلصاً.. إنه ابن بادية من الجنوب.. صلب. أمين.. جاد.. همه أن لا يرى كأس الشاي.. فارغاً.. أن لا يترك النور في الغرفة مضاء بعد انتهاء الدوام..!

مرض.. ولم تفده كلية الطب، ولا علم زملائه، في العمل من الأطباء.. ولا المستشفى الجامعي.. وما حوى..!!

كثيراً ما قال: أنتم مدرسة الطب.. (ما تشوفوا لي علاج).. لمرضي وآلامي (.. لكن أقول لكم: الله هو الشافي)..

بعد أسبوعين من وصوله للعيش مع أهله.. مات عم جابر..! – رحمه الله – لعله أول من يترك الكلية – وما حوت – إلى الأبد.. من مؤسسيها..!

رحلة العم جابر مع الحياة:

.. المرض – والموت – هي رحلة أي إنسان أو بشر.. عندما يمرض، وعندما يطلب الشفاء.. وعندما يتقبل المكتوب.. البداية واحدة، والنهاية واحدة.. وما بينهما.. كل واحد منا يحول فلسفته حسب (شطارته) وخبرته وعلمه.

ملحوظة:

.. تطوع أخي الدكتور عبد العزيز صيرفي – بكلية الطب – بجمع تبرعات لأسرة عم جابر الكبيرة.. والباب مفتوح والأجر عند الله – رحمه الله.

مِن عذاب لآخر

الانتحار نتيجة حالة نفسية يفقد بها الإنسان القدرة على التفكير بالمنطق.. و يفقد الصبر وقبل ذلك فقد الأهل والأصدقاء.. وأهم من ذلك فقدانه للصدر الحنون.. ولعل المنتحر عند اتخاذ مثل هذا القرار يفقد الضمير وأعز من ذلك كله يفقد دينه وتحل عليه النار.. والعذاب في الدنيا والآخرة.. والعياذ بالله..

في يوم واحد قفز شاب في مقتبل العمر أعلى كبرى معلق في العالم — كبرى البوابة الذهبية — إلى أعمق نقطة في وسط المحيط المحصور في تلك المنطقة.؟

لقي حتفه وسجل (حالة رقم ٧٥١ انتحار بالقفز من فوق الكبرى). عمل له ملف داخل الأرشيف (في الدنيا).. ففي واحد من سجل مدينة سان فرانسيسكو..؟

بعدها بساعات قلائل.. ألقى شخص آخر بنفسه من فوق شرفة الطابق الواحد والثلاثين.. ووصل إلى الأرض بين صفوف السيارات التي تزدحم بها تلك المدينة..

تجمع المارة.. وصل البوليس) وارتبك المرور.. ولكن للحظات.. بعدها تفرق الجميع.. عاد.. ازدحام الناس والعربات وسارت الحياة.. التي لم تتوقف ولا ثانية واحدة حداداً على أي من المنتحرين؟

وملف آخر في أرشيف المنتحرين.. هذه المرة أرشيف المنتحرين بالقفز من فوق العمائر...

قد يكون ترك المنتحران أو أحدهما حسرة وألم لدى بعض محبيه وذويه إذ اعتقد أنه سوف يخلف وراءه هذا الأثر!.. وإن كان مثل ذلك فلن يستمر هذا الأثر ويلاً لكن ما سيظل للمنتحر.. هي الحسرة والندم.. والعذاب.. والواقع أن المنتحر يفر من عذاب.. إلى عذاب وبأس المصير..

لعل من أسباب الانتحار ضغط الحياة.. قسوة الناس.. وأهم من ذلك فقدان الايمان.. وفقدان الإيمان يعمي البصر عن الطريق إلى الملجأ الأول والأخير عندما تضيق بنا الدنيا.. فان دنياه سبحانه وتعالى واسعة (بس) تعرف الصحيح إليه..

يُخرِجُ الحيَّ مِن الميّت

هذه حادثة حقيقية وقعت — أرويها :

لكي تلحق بالأحداث المرور..!!

توفت الأم.. نتيجة حادث التصادم.. فقد كانت تجلس في المقعد الخلفي للسيارة.. وكان يجلس بجوارها طفلتاها : الأولى في السنة الثانية من العمر.. والثانية عمرها ثلاث سنوات..!

كان يقود السيارة زوجها.. وإلى جواره صديق العائلة.

أوقف الزوج العربة في المكان الذي يمر منه القطار — في تلك المدينة — الأمريكية — متجاهلاً قواعد المرور..!! يحسب أن في العمر فسحة طويلة من الوقت.. وأن الحوادث لا تأتي مصادفة.. وإنما بمواعيد مسبقة.. يمكن تلقي المواعيد متى نشاء.

صدم القطار السيارة.. وقذف بالسيدة الحامل.. وبناتها إلى الخارج.. فاصطدموا

بالحائط.. توفيت الطفلتين فجأة من الكسور والجروح.. والنزيف.. وأصيبت الأم بارتجاج في المخ وكسور في عظم الرأس.. وغابت عن الوعي.. توفي صديق العائلة في مقعده بالسيارة..

وصل رجال الإسعاف.. ولم يجدوا من بين (الركاب) على قيد الحياة، سوى الجنين في أحشاء الأم —داخل الرحم— ينبض بالحياة— و يعلن عن وجوده!!!

أما الأم فإنها في الرمق الأخير.. وفي طريقها إلى باريها.. وهي حامل في الشهر الأخير من الحمل.. حاول رجال الإسعاف.. إنقاذ الأم —دون جدوى— ولم يريدوا أن يلحقوا الجنين بمصير أمه وأختيه!!! أرادوا أن يعطوه فرصة للحياة..

لا بد أن (يولدوا) هذه السيدة في الحال.. ولا يتم ذلك إلا بإجراء العملية القيصرية لها..!! ولكن لم يقوموا بمثل هذه العملية قبل الآن، وليس لديهم الخبرة..

وليس في الوقت متسع..!

لقد أسعفوا في السابق أمهات في ساعات المخاطر.. ولديهم الخبرة في الولادة الطبيعية.. ما العمل..؟؟ إتصلوا فوراً تليفونيا— من سيارة الإسعاف بطبيب النساء المختص.. ليشرح لهم خطوات إجراء العملية.. القيصرية.. الخ.

..وفعلاً —خطوة خطوة بالتليفون— وداخل سيارة الإسعاف قاموا بإجراء العملية.. وفي خلال ١٣ دقيقة أمكن إخراج — طفلة تزن ٣ كيلوجرامات إلى الحياة..

ومع أول صرخة للطفلة المولودة.. لفظت الأم آخر نفس لها في هذه الحياة..

..! عاد الأب إلى مكان السيارة ليجد —من كان معه— من عائلته في هذه الحياة — قد فارقها إلى عالم الخلود..!

ولم يبق له في هذه الدنيا —سوى طفلة عمرها دقائق— لم يكن يتوقع وصولها بعد..!!



الفَصلُ الخامِسُ

الصّيط وَالغِنى



الصّيط وَالغِنى

مع مطلع كل عام دراسي، وعند إجراء إمتحان القبول لطلاب كلية الطب، كان ضمن الأسئلة التي نوجهها للطلبة السؤال التالي:

لماذا أخذت مهنة الطب، ولماذا تريد أن تكون طبيباً؟؟ وتتعدد الإجابات.

فيقول الطالب: لأنها مهنة إنسانية.

فأجيبه: وكل المهن إذا كان رائد ممتهنها الخير، فهي مهن إنسانية.

فيقول: لكي أتقرب بعملي الطبي إلى الله أكثر.

فردي عليه: وكل مهنة أو عمل متقن أريد به وجه الله — كان العبد المؤدي لهذا العمل قريباً من الله.

فيجيب الطالب (كمبرر آخر): لكي أخفف بها آلام الناس ومتاعبهم.
فأقول له: رأيي في ذلك.. أن آلام الناس ومتاعبهم ليست جسمانية فقط، هناك

متاعب اقتصادية وآلام نفسية واجتماعية، فمنغصات الحياة كثيرة..

وهنا — تطفو (إلى السطح) بعض الدوافع الحقيقية، وهي لكي أصبح مشهوراً وغنياً.

و يفاجاء الطالب عندما أقول له: إذا كانت الشهرة (الصيط): هي الدافع الأكبر، فاعلم أن مهن أخرى.. كالفن والرياضة والطرب.. تحتل الصحف. وتملأ المذياع والتلفاز، أما الغنى: فلقد تبدل الحال (الآن) وأصبح صاحب المكتب العقاري ووكيل الشركات من ذوي الغنى...

وفي رأيي أن أيها (السادة):

أحذروا أن يكون رائد ابنكم من المهنة (الصيت والغنى) فمجالات ذلك غير ما يقدم بين جدران الجامعة.

ولنغرس في نفوس الأبناء.. دوافع إنسانية أفضل من (الصيت والغنى).
.. فليست بالمادة وحدها يحي الإنسان...

إحْـذَرمِنِ الفيـل

يقولون — والعهدة على الراوي —:

كـان في قـديم الـزمـان.. في بـلاد الهـنـد سـلطان أراد أن ينتقم من أحد رعاياه..

فـأهداه فيلاً..! لم يرد أن يكون جباراً في الأرض،.. ولا يرغب في أن يشاع عنه الظلم والجور.. فهو حكيم.. (داهية) و(مشهور).. فرح (الشاطر) بالهدية، وظن أن الحاكم قد خشي (الأذية)..!.. واعتقد أن حجم (العطية) يدل على المودة والأخوة.

.. قال له الحاكم:

لم أجـد مـا أكـافئك به على كل ما عملت.. وعلى قدراتك.. وما فعلت سوى هذا الـفـيـل..! وإيـاك أن تـمـسه بسوء.. وأن يلاقي لديك مكروهاً؟ فهو متى قطعت من (مسؤولية)..!

أخذ المسكين الفيل.. ظن أنه جدير بهذا الجميل.. وعندما خلى إلى مسؤولياته والقيوم بواجباته.. أدرك قدراته.. عرف حدوده وإمكاناته.. واليد قصيرة.. والفكر محدود.. والمورد مسدود..

.. بذل جهده.. لكي يفي بوعده.. أخذ يقدم الغذاء للفيل.. والفيل لا يشبع بالقليل.. أطعمه كل إمكاناته..

لكن حجم (المسؤولية) —الفيل— أكبر من موارد البشرية.. الفيل لن يجوع.. وإلا كانت نهايته.. أخذ يبذل الكثير من الجهد والعرق.. لكي يكون في حجم (المسؤولية).. لا فرق! لكن الفارق كبير.. باع —ما فوقه وما تحته— وقدمه غذاءاً وشراباً للضيف الثقيل —استدان.. وطلب من الناس العطف والحنان.. خارت قواه من العمل المضني وتوفير الغذاء.. أولاً «للفيل» وما بقي اقتات به.. إلى أن كان يوم من الأيام.. لم يستطع معه القيام.. ومن الجوع والضعف.. نام.. إذ بالفيل عند رأسه يطلب المزيد من الطعام لنفسه.. وإلاّ حوّله إلى كومة من.. حطام.. فتح عينيه..

وهرب.. والفيل (خلفه) يعدو.. وفي وسط الصحراء كانت المأساة.. خارت قواه..

ولقي ربه.. يقول الراوي: استعاد السلطان فيله وأخذ يبحث في كل مكان عن الإنسان الجشعان، ليقدم له.. فيل هذا الزمان..

.. فاحذر من الفيل..!؟

على حساب الغير

في مطار (   ) تكرّم مدير المحطة بالكتابة إلى المراقب المسؤول
—عدنان— يقول له (يوضعوا على الرحلة التي كانوا حاجز ين عليها رقم ١١١)..،
و بذل المراقب (المسؤول) جهداً مشكوراً لكي يحقق للمدير (المسؤول) أمره.. لكن
—دون جدوى..!

فقد كان (بعض عمداء الكليات) أكدوا الحجز ولديهم (شهادة) (موقع)...
عليها من (الكمبيوتر) بالرقم والاسم.. وجرى التأكيد في الوقت المناسب.. ولكن..
سحبت الكروت الحمراء.. كروت دخول الطائرة —وأعطيت للأصدقاء..

وضاع على (العميد) فلان الإجتماع المنتظر وعلى العميد (علان) —لستة
العمليات المتوقع إجرائها.. والجميع كانوا متأكدين من العودة.. فقبل الذهاب
—أصروا على موعد الإياب..! (معليش).

فالذي جرى —عليهم— جرى لهم، وانعكس على غيرهم..! فقد أعطوا

– كروت حمراء – على الرحلة التالية – بعد ثلاثة ساعات.

ولعل تلك الكروت – كانت – لأشخاص.. بدون – واسطة أو معرفة.. أو صحوبة..!! والسبب..!

السبب – هي المجاملة على حساب الغير.. الموقف محرج – أحياناً.. الصغير محرج أمام زميله الكبير.. والكبير محرج.. أمام صديق (صديقه القديم).. والكل يجامل – على حساب البعض.

قد لا يكون الذنب.. من نصيب الموظف – الصغير وحده – نحن نشترك معه في الإثم..! نقبل أن تسحب – الكروت الحمراء – حتى قد نعلم أن الكمبيوتر (مصمم) عليها – لكي تكون من – نصيب – السيد (فلان) والمستر (علان) – الذي سوف يلتحق بالرحلة التالية في المحطة القادمة، أو الذي بنى حساباته – كما هو – معمول به في العالم – يصل في الوقت المناسب.. لأنه حدد الرحلة – حلف – له (الكمبيوتر بأن اسمه لن يتغير.. إلا بيد – تلويها – المجاملة – على حساب الغير!!؟

المجاملة سلاح – ذو حدين – تنقلك اليوم في الوقت الذي تريد – على الرحلة – التي تريد –.. لكن، على حساب (مستر فلان) السيد (فلان)..! الذين وضعوا ثقتهم في أمانة..! ولنقل (الكمبيوتر)..!

كبار المسؤولين (في الخطوط).. في منأى عن الكي بنار – المجاملة – لكن مستر (اكس) ومستر (ام) سوف تترك (حروق) المجاملة.. على لسان وفكر كل منهما – أثر – يعرضانه.. على كل من يقابلانه.. يتحدثون عن قصصهم مع رحلة على الخطوط (...).

ليست (بس) ولو ١٠٪ من الموظفين يقفون مع الحق – ضد المجاملة على حساب الغير..

بَيت مِن الورق[٧]

عندما يعطى شخص ما.. القدرة.. الصلاحية.. المسؤولية، فإنه بقدراته وإمكاناته الذاتية.. (وشطارته).. يستطيع أن يستقل و يستعمل تلك الصلاحيات..

إذا كان المقصود باستعمال الصلاحيات الصرف.. توقيع العقود.. والشيكات — وإصدار الأوامر.. فهذه سهلة.. لكن الحصيلة هي الهدف كما يقولون العبرة بالنتائج!! وهي المقياس الحقيقي للرجال.

البعض يكون نتاج قدراتهم.. صرح شامخ.. قوي البنيان.. ثابت مع الزمان (مفصل) بعناية.. مدروس بأمانة.. ومشيد بنزاهة.

والبعض الآخر تكون محصلة —ما أخذوه من صلاحيات ومسؤوليات..، هو (بيت من ورق) يعجب النظار.. سر يع التشييد.. شيق القوام.. حلو اللمسات الأخيرة.. لكن من ورق، مع هبوب الر يح.. وبمرور ساعات، وليس سنين.. يصبح كومة من رماد.

والـغـر يـب في الأمـر: أن الـكـثـير ين ممن يشرفون على من أعطوا الصلاحيات.. يهـللـون.. و يـصـفـقـون (لبيوت الورق) على أنها إنجازات.. وقدرات على الصرف قبل فوات الأوان!؟

وقـلة من شبابنا — ولله الحمد— يسعون وراء إنتاج بيوت (من ورق).. قد أعطى الـكـثير مـن صلاحيات ومسؤوليات.. فبحثوا عن الأصالة في الإنتاج، عن المنجز المخبر —لا المـظـهـر— يـبـنـون الـصـرح الـذي يـبـقـى و يشير إليهم بالبنان.. و يفخرون هم وأحبابهم بمعطياته..

الله —يعين— من كانت تجربته محدودة، فبقصد أو بدون قصد كان إنتاجه بيوت مـن ورق.. وخاصة أن الكثير ين الآن يجيدون التفرقة بين (الأصيل النافع.. والبراق الخادع).

لـذا أرى لـكـي يـكـون نـتـاجـي ونـتاجك —أصيلاً— هو أن تتمثل في كل عمل تـكـلف به —صغر أم كبر— قول الله عز وجل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.. الآية) — صدق الله العظيم.

فبهـذه — سـوف تـتـحـول الـقـدرات والـصـلاحـيـات والـثقة التي أعطيت لنا إلى (مصنع) إنتاج جذور (مسلحة) للمستقبل...

القطط في جدّة

(عندي) مشكلة..، نجري الآن —في كلية الطب— بحثاً علمياً عن مرض يسمى تكسو يلا موزس Toxoplas Mosis ومدى تأثيره على الحامل والجنين...،

ومعروف أن هذا المرض ينتشر.. أما بواسطة أكل اللحم الذي لم يتم نضجه (اللحم النيء)، وهذه (ولله الحمد) عادة ليست مستساغة عندنا...، واما بالتعرض للتلوث بفضلات القطط، سواء باختلاط الفضلات بالتراب في المنزل واستنشاق هذا التراب،.. أو بوصول الفضلات إلى الغذاء، وهذه الوسيلة (لسوء الحظ) منتشرة.

هذا ليس هو الموضوع..،.. المشكلة التي تحيرني وزميلي الذي يجري البحث معي.. هي محاولتنا تقدير عدد (البساس) القطط الموجودة في مدينة جدة!!، قال زميلي (وهو غير عربي): أعتقد أنهم يز يدون عن الثلاث ملايين. وسألت غيره من (الأجانب) المقيمين في جدة، فكانت آراؤهم: أن العدد يتراوح بين اثنين وثلاثة ملايين،...! واحترت، هل أكتب... للبلدية —وأسألهم عن العدد التقريبي للقطط.. (وليس القطط والكلاب). وهل لديهم إحصائية دقيقة بذلك، أم نقوم

باستقصاء حول المنازل وداخلها.. وهذا جهد كبير سوف يصرفنا عن موضوع البحث الأساسي.! إذاً كيف نستطيع أن نقدر العدد التقريبي للقطط في جدة..

قلت: لنفترض أن في جدة حوالي ثلاثة أرباع مليون نسمة.. ولنفترض أن ربع أو ثلث السكان يعشقون القطط.. والربع أو الثلث الآخر يتعاطف معهم..! وعلى ذلك يمكن أن نفترض أن في كل منزل قط أو قطة بعدد أفراده. إذاً هناك حوالي النصف مليون.! أما الثلث أو النصف الباقي من سكان جدة —الذين لا يعشقون ولا يتعاطفون مع (الباس) — القطط هؤلاء ليسوا بمنأى عن (حب) القطط لهم..!

فدخول القطط وخروجها من المنازل ليس دائماً يمكن التحكم فيه —سواء أردت أو لم ترد— فكثيراً ما ترى القطط في غرفة نومك..! لماذا.. لأن الشارع أو المنطقة المجاورة لمنزلك تعد مرتعاً خصباً لنمو وتكاثر القطط..، غير ذلك —طبيعة بعض بيوتنا تعطيهم محض الحرية في التحرك... إذاً العدد التقريبي في رأيي هو مليون وستمائة وخمس وسبعون قطة...!

أرجو ممن يستطيع أن يعطي إحصائية دقيقة عن عدد القطط في جدة —وذلك قبل إزالة المراتع الخصبة من الشوارع والحواري التي قد بإزالتها تقل أعداد القطط...، أرجو ممن يعرف العدد الصحيح أن يتصل بنا.. وله الشكر...!

الكلاب في جدّة

علمت أن (استيراد) أو دخول الكلاب إلى المملكة، ولأي غرض من الأغراض قد أوقف..! والمنع سار مهما كانت (سلالة) أو نسب ذلك الكلب..، ومهما حمل معه من الشهادات الطبية — أقصد شهادة تثبت صحته وعافيته..! وهذا شيء جميل.. ولو لم يكن للمنع من حسنات وفوائد سوى الحفاظ على الإنتاج (المحلي) لكفى..!

فالإنتاج المحلي —من الكلاب— قد زاد في الآونة الأخيرة.. لدرجة اضطر معه بعض الشركات الاستثمارية بأن تتعاقد مع شركة الأدوية والعقاقير.. (جايجي)..

بأن تتولى مطاردة كلاب المنطقة التي تعمل بها هذه الشركة.. قد يكون في ذلك فتح باب مجالات للاستثمار.. المنافسة في منطقتنا..!؟ لا أرى.. لكن قد زاد فعلاً عدد الكلاب أكثرها تتطلبه مطاردة.. (القطط في جدة).. ويكفي للتصدير إلى الخارج — لو أمكن تحسين السلالة..!

ولعل ما تتميز به الكلاب في جدة أنها يطيب لها العيش في الأحياء الجميلة..

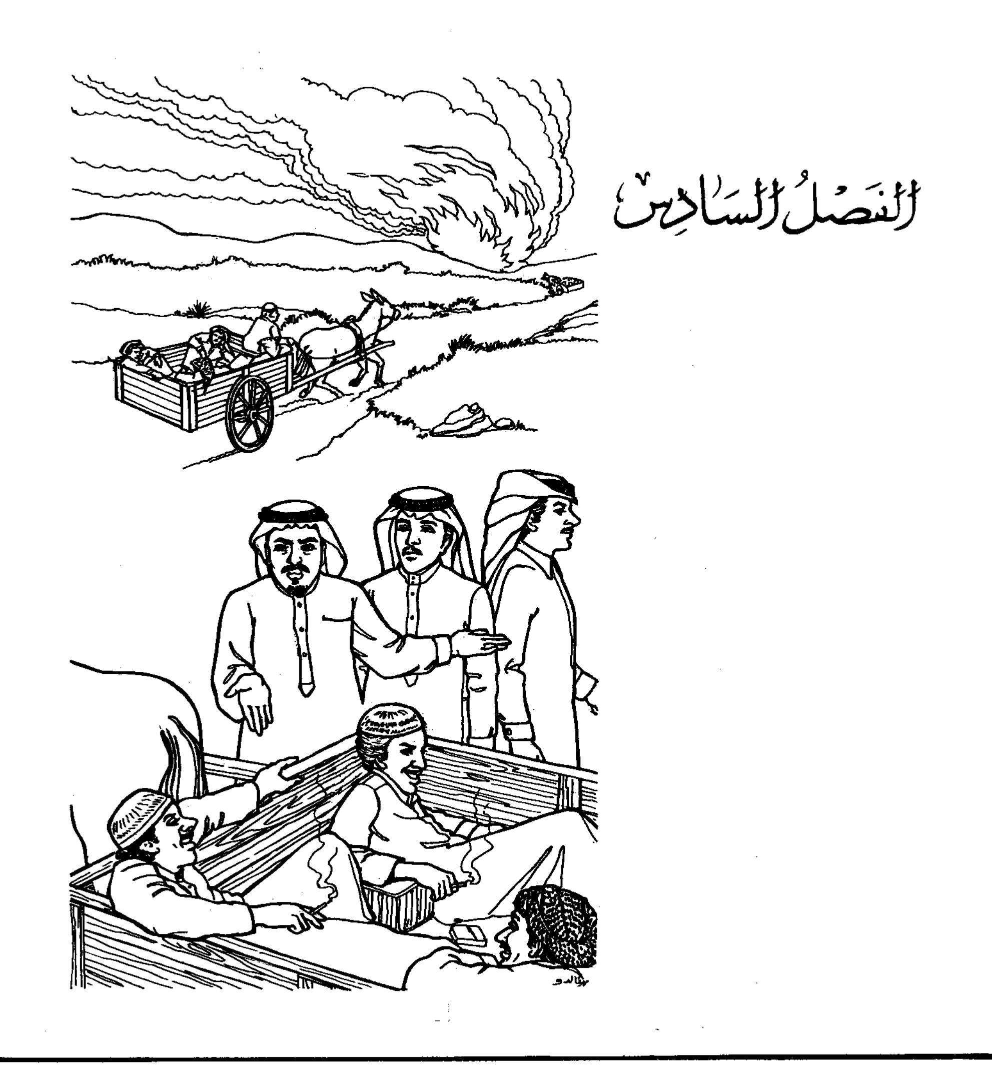
وحول منطقة —الكورنيش— وأماكن التشجير.. وملاعب الأطفال، وأرضية كرة القدم.. لم ترد أن تتجه إلى منطقة التوسع العمراني.. وخارج المدينة وحول الطريق الدائري.. المطار الجديد.. فهناك فسحة في المكان —وطيب في الهواء يمكنها أن تمارس —في تلك المناطق— حياتها الاجتماعية.. ونشاطها الانتاجي.

ولو أردنا (إنصافها) في اختيار الأحياء الجميلة لتواجدها.. لقلنا إن ذلك مرده إلى أن السيارات (القلابات).. التي تحمل النفايا وبقايا العمران والتمدن، تجد أن أقرب نقطة لإفراغ حمولتها هي أحدث الشوارع وأوسع الأرصفة.

هل ذلك تعاطفاً مع —تواجد الكلاب بكثرة في تلك المناطق.. أم أن: الكلاب— هي التي تتبع (القلابات) والنفايا..؟ مشكلة — كمشكلة (البيضة — والدجاجة).

الذي أقترحه أن تطلب (البلدية) من سائقي حاملي النفايا بأن يتجهوا بحمولاتهم.. وبعضهم كلاب المدينة إلى خارج العمران.. فالكلاب تسعى حيث المرتع الخصب لها.. والنفايا التي تقتات عليها..!

إذا لم تجد هذه الطريقة..! فالحل الآخر هو أن تعمل على تحسين السلالة.. وفتح باب التصدير إلى الخارج..!؟



الفصل السادس

مَا أَضيق العَيش لولا



طِيبُ العيش

أعجبني قول لقمان الحكيم —أو ما قيل عنه : (ليس مال كصحة .. ولا نعيم كطيب العيش).

والمعروف أن لقمان كان يتصف بالحكمة ..، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ،

أعتقد أن البعض يتفق معي —في أن هذا الزمن لم تعد الحكم والأمثال تستوقف (الناس) أو تسترعي انتباه واهتمام الكثيرين ..! لقد (قلب) عصر التكنولوجيا ،

والاستثمارات ، والادخار، واغتنام الفرص: المعايير والموازين، فأصبح الربح والكسب و(أرقام الرصيد) .. هو هوى النفوس ..! والمسيطر على الاهتمام والانتباه ..، وأصبحت قراءة أسعار (الذهب) في الصحف هي أول ما يسترعي الإهتمام .. ولم تعد (حكمة اليوم مما يلفت النظر!)

و يعتقد بعض الناس أن —بالمال— يحصلون على العيش الطيب— و يفسرون العيش الطيب— أفخر أنواع (اللحوم والدهون والمشتروات)— و بالمال يمكن الحصول

على العلاج في أرقى مشافي العالم، وعلى أيدي جهابذة الطب.. وبأحدث المعتقدات...

هذا صحيح.! لكن: ليت يمكن شراء الصحة بالمال، أوحتى تقليل الدهن من جدار الشرايين ومنع الجلطة. بل قد يكون العكس نشتري السمنة والترهل وتصلب الشرايين والجلطة القلبية، بقدرتنا على شراء (أدسم) المأكولات... نشتري (الكسل) وقلة الحركة بقدرتنا على اقتناء (أفخم) العربات!! وأثر المكاتب...

طيب العيش — في رأيي — ليس بما لذ وطاب من الأكل والشراب! وليس بمتعة (لحظة) من السلوى والصحبة.!

إنما طيب العيش في استمرارية الرضا والقناعة.. وجمع الشمل وسعادة الأسرة.. ومشاركة الأحبة والأصدقاء.

وقد صدق الحكيم لقمان — عندما قال أيضاً: (إيّاك والطمع وارض بما قسم الله لك.. تصن عيشك وتسر نفسك.. وتستلذ حياتك).

مِن الكسل مَا قتـل

كـثيرون مثلي سمعوا هذه (الحادثة).. وقد روتها والدتي..! يقال إنه كان في سالف العصر والزمان مجموعة من الغلمان.. اشتهرت بالكسل وقلة الحركة والاعتماد على الغير في المأكل والمشرب..، ولم يفيدوا مجتمعهم (بأي إنتاج). وأخيراً ضاق بهم ذرعاً الأقارب والجيران وأهل الحي وكل من كان..! وقد قرر الجميع أن لا يقدم لهم المأكل والكساء. وصلت أخبارهم إلى مسامع الوالي.. وكانت موارد الدولة قد شحت وقلّ الإنتاج.. فقال الوالي لمأموره: خذهم وضعهم في عربة.. أخرجهم إلى خارج أسوار المدينة.. ثم.. احرقهم..! وفعلاً أتت العربة ووضعوا فيها، ثم سارت بهم في أزقة الحارة، فتسامع الناس.. وتشاوروا فيما بينهم. فقال (فاعل خير): يا جماعة لدي كمية من الخبز الناشف— دعوني أعرضها عليهم لعلهم يرغبون في أخذها و يقتاتون بها.. و يريحون الوالي و باقي الرعية من عبء مؤونتهم..

أوقف العربة، وتقدم منهم، وقال لهم: لدينا حل — لصون حياتكم، .. هنا كمية من الخبز (الناشف)، انزلوا؟ (بلوه) و(فتوه).. وكلوا وعيشوا...

وبعد لحظة نظر كسلان إلى آخر.. والآخر إلى زميله..! وأخيراً تنهد بعضهم وقال: يا أخي من منّا سوف (يبل) العيش؟ ومن منّا سوف يفت العيش؟.. مالنا ولهذا التعب؟!! سق أيها (العربجي) إلى حيث أمرك الوالي..؟

نعم.. فمن الكسل ما قتل. وجدير بالذكر أن ما يروى في هذا المجال ليس قصورا بحال من الأحوال على (النشاط) العربي. فللحديث بقية عن ما جرى في مدينة البندقية..!

في مدينة البُندقيّة

استلقى اثنان على الحشائش الممتدة على ضفاف القناة.. وتحت أشعة الشمس الدافئة.. داخل (موجات) تغريد العصافير المنتشرة على الأشجار— تشدو (بأعذب الألحان)..! مرّ بها (أمريكيان) فتعجبا من هذين الإيطاليين..! فقال أحدهما للآخر: هذا مستحيل. دعنا نتحدث إليهما..! هيه أنتما ماذا تعملان؟ قالا: نائمان..

ولماذا أنتما نائمان؟ وفي عز النهار (الكل في عمل) وابتكار؟ اعملا لكي تكسبا ؟..

ولماذا نكسب...!؟ لكي تدخرا. ولماذا ندخر؟ لكي تعيشا في أمن وتوفّرا مبالغ وأرصدة لآخر الزمان.

فسأل الإيطاليان: ..ثم، ماذا نعمل بعد ذلك بالادخار والأرصدة والأرقام في البنوك، فقال الأمريكيان: آه.. بعد ذلك، نعم بعد ذلك يمكنكما أن لا تهتما بشيء..

وتستريحا وتناما !!!

فأشاح الايطاليان بوجهيهما عن الأمريكيين! ... وقالا ببساطة: لماذا هذا المشوار الطويل في الحياة؟ فنحن من الآن مسترخيان ونائمان؟

هكذا، فنحن لسنا -الوحيدين- في دنيا الكسل.

كثيرون مثلي قرءوا، وسمعوا هذه (الفلسفة) في الكسل.

ونعود و (نقول):
إن من تبرير الكسل.. -أيضاً- ما قتل...!!

الإنسلاخ من العروبة

قد تشعر أحياناً .. بين السطور — المكتوبة عن ما يشاع أو يقال عن مصر من أنها تبحث —عن الذات— أو تحاول الانسلاخ من العروبة .. والعودة إلى (المصرية) ..

أقول .. قد (تحس) أن الكتاب العرب .. وخاصة عندنا يشعرون بشيء من الخيبة .. والحزن . !! على هذا الإتجاه أو الدعوة إلى هذه الفكرة .. !

فلماذا هذا الشعور بالحزن والمرارة .. ! في رأيي أن الإسلام هو بمثابة صلة الدم بين الناس .. بينما (التعرب) أو العروبة .. هي التجنس .. قبله البعض وطلب شرف الانتماء إليه الكثيرون وبه عاشوا وعرفوا . ! لقد استفاد من شرف الانتماء إلى العروبة الكثيرون .. كما خدم الاسلام والعروبة أكثر أمثال : بلال الحبشي .. صهيل الرومي — سلمان الفارسي .. والبخاري .. والرازي وابن سينا والأفغاني ..

والندوى .. وغيرهم . ! إنه الإسلام .. لا العروبة .. يجب أن يكون موضع حزننا ..

وخيبة رجائنا..! هل يستطيع – مسؤول أو تستطيع لجان أن تغير ديانة شعب عريق.. وتحول.. سيد.. محمد.. وعلي.. خليل.. إلى خوفوا وخفرع.. ووايزمان..

ومناحيم..! لن يحدث ذلك.. أبداً.. قد يؤثر ذلك على الإحصائية العددية للأمة العربية.. ولكن لن يقلل مقدار المسلمين في العالم..!

ولعل بتحديد (الهوية) ترتاح النفوس العربية عندما تتعامل مع هويات أخرى.. هذا التحديد يعفيها في تصرفها من أن تلتزم بالتقاليد العربية الأصيلة في معاملة العرب لبعضهم.. وقد يؤدي (فسخ) انتماء مصر إلى الأمة العربية.. إلى أن يعطي (المصريين).. فرصة النظر بعمق إلى قيمة شرف الانتماء إلى الأمة العربية.. بغض النظر عن واقع حاضرها المؤلم..!

و يعطي العرب.. مرونة أكثر في التعامل مع غير (العرب)..!

ولكنني على ثقة أن في مصر المسلمة.. إسلام مصر لن يتغير وإن حبنا وتقديرنا لسكانها المسلمين لن يتبدل.. كما أن احترامي وتقديري للمرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد.. كاتب العبقريات (رحمه الله) لن يتأثر.. حتى وأنا أقرأ ما نسب إليه ونشر حديثاً قوله (يجب أن تكون سياستنا مصرية لا عربية!!..) وهي في الواقع السياسة الحالية في مصر.. فالتوقيع – على الاتفاقية.. لم يكن يحمل السمات والأخلاق العربية!..

المنصِب الجَديد

سمعت المرحوم عباس محمود العقاد يقول —في إحدى الندوات التي كانت تعقد في منزله بالقاهرة صباح كل يوم جمعة— ما معناه: لا تسع وراء المال والشهرة والمنصب.. دعها تسعى إليك..

والرغبة في أن يكون الإنسان (شيئاً مذكوراً) صفة من صفات الإنسان (الترابية).. ملازمة (للبشر).. مهما اختلفت (طبقاتهم) الاجتماعية.

فالوصول (الحصول) على المنصب الجديد... سواء أكان هذا (المنصب) رئاسة دولة أو حراسة (على باب عمارة) هدف...، فللمنصب.. قوة توحي بالمتنفس بشيء ما... الأمر يكان.. وغيرهم ينفقون ملايين الدولارات، كما أن الكثير من (البشر).. (يوسطون) عشرات الناس و يستخدمون كافة الوسائل: المادية..

والمعنوية.. الأخلاقية.. وغير الأخلاقية.. لتنصيب أنفسهم أو من يؤيدون.. وغالباً ما ينصب.. غير من يؤدي (الدور) حقه.. وفيما ندر (يعطى الخبز لخبازه)... هذه الحرب الدائرة بين البشر (بدون سلاح).. في كل الأوقات والأزمان والأماكن.. لماذا؟؟

هل لأن المرء يشعر بأنه أجدر من يقوم بأعباء (المنصب) الجديد ودفع عجلة الحياة.. هذا الشعور في رأيي (ليس أصيلاً).. فكثيرون — وصلوا إلى حيث يريدون من المراكز والمناصب..، وهم أقل دراية بمتطلبات المنصب..؟؟

.. لو كان الإنسان أجدر وأقدر على إدارة المنصب.. أليس من المنطق أن يسعى إليه المنصب..؟؟

ليت للمسؤوليات والمناصب القدرة على الحركة والخيار.. لسعت إلى الشخص المناسب...

وفي رأيي: أن المنصب الجديد..

قد يكون تاجاً على رأس من تولى القيام به.

وقد (يعرى) (صاحبنا) أمام (الخلق).. و يظهر ضعفه ونواقصه..

للتحدّي قوّة

معروف منذ (الأزل) أن التحدي إذا صادف —مرتعاً خصباً— كان طاقة منبهة.. وقوة دافعة..

في بدء مرحلة (التكليف) بإنشاء كلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة (وبالضبط).. وبعد مرور شهرين من تعيين العميد لإعداد الكلية بحيث تستقبل الطلبة والطالبات بعد شهور قلائل.

ولم تكن —الجامعة قد أعدت— (حتى ولا مكتب سعادة العميد)،.. في هذه الظروف.. كان هناك وفد أمريكي يزور جامعة الرياض للدراسة والتقييم.. ووضع الاقتراحات وما إلى ذلك..، وأراد بعض أعضاء هذا الوفد —وخاصة المهتم منهم بالتعليم الطبي— والذي كان في زيارة الجامعة بجدة، الاطلاع على خطط الجامعة في ذلك.

هكذا دار نقاش (حول مائدة إجتماعات —بين أعضاء من الوفد— ووفد الجامعة

المكون من شخص واحد) (هو العميد).. حول كلية الطب والعلوم، وآمالنا وطموحنا والامكانات التي أعدت للبدء في افتتاح هذه الكلية، والتي لم يكن قد (توفر) منها سوى المكتب الذي تجرى فيه هذه الاجتماعات.

وكانت مكاشفة صريحة.. اختتم الاجتماع بأن قال أحد أعضاء (الوفد) الزائر. قال بإخلاص وجدية شجعناه على أن يفضي بها.

قال: أنه يتحدى أن تقوم كلية طب —في هذا العام— أو العام التالي — و يكتب لها الاستمرار.

و بنى تحديده هذا على حسابات (واحد+واحد)، وهي حسابات منطقية، والذي يأخذ بالدراسات وخبرة الخبراء (فقط).. لا بد أن يسلم بها.

حمد الله العميد على أن وفد الجامعة في المناقشات لم يكن يضم أكثر من عضو واحد..، وإلا لتسربت هذه الآراء، ولصعبت المهمة.

مقال العميد للأستاذ الزائر:
أعطني فرصة، وأنا قبلت التحدي.

قال (الزائر):
وأنا سوف أكون مديناً لك بالاعتذار.. والتهنئة — إذا وفقت.

ودارت الأيام.. وتلقى (العميد) التهنئة.

لقد نسي الضيف (الزائر).. أن للتحدي قوة.

مَا أضيق العيش.. لولا !

(أوناسيس) ملك البحار وصاحب الجزيرة الفريدة في اليونان، الذي حصل —تقريباً— على كل شيء، وعاش حياته (بالطول والعرض).. استمتع بكل مباهجها وأفراحها..! إلى أن زار الطبيب آخرة مرة..

.. وبعد أن أكمل الطبيب (الفحص) والتحاليل —وعرف التشخيص—.! وقبل أن يصف العلاج..! قال الطبيب —للملك غير المتوج—: لدي سؤال آخر. أخبرني: عندك من (الفلوس) الثراء الكثير.. ولك من الجاه والنعيم الحظ الوفير..؟

فما الذي تريد أن تصل إليه —بعد كل ذلك—؟ قال— (المريض أوناسيس)— وهو يضغط في إجابته، ليس على الحروف والكلمات،.. وإنما على المكتب.. والأرض والهواء، قال: (أريد الرئاسة).. وسكت الطبيب..! وعاد (المريض) يسأل، ولكن: قل لي (يا دكتور): كم سأعيش..؟

فرد الطبيب —هل أنت مصمم— على أن تصرف..؟ قال: نعم..؟ قال: لن

تعيش طويلاً.

ضاقت الدنيا، وفقد الأمل، وتحولت القوة والجاه، والرجل كله حياة.. إلى شبح — ينتظر الموت.

يقولون: «ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل»..! ولكن هذا الأمل الذي يعمل مثل السحر في البشر، يمكن أن ينتزع بواسطة بعض البشر؟! من كرم الله على عباده أن حجب عنهم الكثير من أقدارهم..!

والسؤال: هل من الواجب أن نحجب — نحن الأطباء — ما نعلمه من أقدار الآخرين.. (المرضى).. وما نعلمه — يسير — ومرهون بقضاء الله وإرادته..؟

وهل (أسرار) صحة المرء حق له، ليس لأحد أن يحجب أية معلومات بهذا الخصوص عنه؟.. أم هي رحمة بالناس أن تحجب عنهم بعض ما قد يفقدهم الأمل..؟
للحديث بقية (عن مريضة سعودية)..

الأمَـــل

دخلت إلى عيادتي —غاضبة— تدق الأرض بقدميها،... وقالت: كيف تستأصل لي الرحم..!؟ وأنا فتاة لم أبلغ الثامنة عشر من العمر، ولم أتزوج،.. وكل من قابلت من الأطباء —الذين أخذني أهلي إليهم —في بريطانيا بعد ذلك— لم يذكروا لي عن مرضى شيئاً — ولم يقدموا لي أي شيء. بل قالوا: عودي لمن أجرى لك العملية، وهويخبرك.. و يبرر العملية!!

قلت: دعك من هذا.. وأخبريني: كيف تشعرين الآن؟ ألديك أي شكوى..؟؟ قالت: لا، ولكن منك؟ ومن صنيعك؟

فأدركت أن —أخاها وولي أمرها— لم يخبرها عن حالتها إلى الآن؟؟ ولعله أيضاً —طلب من الطبيب— في بريطانيا— أن لا يناقش معها التقرير المرفق عن حالتها..! (حولها) علي لكي —كما تقول— أتحمل نتائج أعمالي..! وهومحق في ذلك أيضاً.. إذاً لا بد من فسحة من الوقت لكي نتأكد من جدوى العلاج.. وسلامة العافية..!

قلت : إننا مدركون بأنك شابة —وفي مقتبل العمر— وضعك المرضي بين أيدينا في غرفة العمليات.. ونحن في حيرة من أسباب علتك.. اكتشفنا أن المرض غير ما توقعنا — وفي لحظات.. وأنت تحت تأثير (البنج) أثناء العملية.. أخذت عينة من الورم الذي تكون داخل الرحم.. وأحدث لك النزيف والآلام.. وظهرت النتيجة— في دقائق.

..الورم كان (سرطاناً خبيثاً) في الرحم وليس في الوقت متسع —لكي نناقش حالتك معك— أو مع ذويك. وكان الخيار أن نعمل ما نراه مفيداً لحالتك..؟؟

وأطلعنا أخاك على النتيجة.. وطلبت منه أن يتحين الفرصة المناسبة لكي يخبرك، وليكن بعد التأكد من أن الداء قد استئصل.. وأن الشفاء —بإذن الله— قد حصل..!

وبودّي.. ولولا —إلحاحك— لوضعنا —سر— مرضك في طي النسيان..! لكن لا بأس من أن تعرفي الآن، فتوجهي —بالشكر— لله العلي المنان..!
وسكتت.. أو سرحت.

ولا أدري .. : هل نصبح سعداء بما نعلم، أم نكون أكثر سعادة بما نجهل..!!



الفَصْلُ السَّابع

العَقلُ دُنيا عجيبَة



العَقـل دُنيَـا عجيـبَة

يقـولـون : لـو أنـك وضـعـت مـا يمـكـن أن تـقـوم بـه كـل (كمبيوترات) العقول الالـكـتـرونـيـة — التي اخـتـرعت في العالم .. لما شغلت أكثر من حيز وجيز في مؤخرات العقل البشري ..

.. هذا صحيح ..!

فالعقل البشري آلة عجيبة !!

أثـر — بـلا حـدود — في ثـوانٍ (يـلـف) بـك الـعـالم ، و يـر بطك بالماضي والحاضر والمـسـتـقـبل .. يدخل بك إلى أعماق النفوس البشر ية ، ويحلق بك في آفاق السماوات والأرض .. وآيات الله ..

عـنـدمـا (يـسـرح) الـشـخـص (الجالس) أمامه لمدة ثانية (أو جزء من الثانية) .. وتـسـألـه : أن يـلـخـص لـك المـراحـل والأفـكـار .. والملابسات ، والناس ، والعمليات الحساسة .. والمقالب .. و.. و.. التي مر بها .. فإنه لن يستطيع ..! لو أراد أن يسجلها لاحتاج إلى زمن .. إلى مجلدات ..!

داخـل هـذا (الكـمـبـيـوتـر) الـذي أودعه .. مبدع .. الخلق — جل وعلى — داخل (تجـو يـف) عـظـام الرأس .. ، إمكانات لا حدود لها .. تعطيك بلا حدود ، ولا سابق

تحضير. وبالمناسبة لا يوجد — دين — أو كتاب سماوي حرض البشر على استخدام العقل.. كالدين الإسلامي..

المشكلة :

هي (أن قليلاً من البشر) هم الذين يجيدون استخدام هذا الجهاز..!.. هل العقل كالكمبيوتر.. يحتاج استعماله إلى علم وتدريب.؟.. هل يمكن امتلاك العقل — كما يمكن امتلاك آلة (الكمبيوتر)؟.. وبالمناسبة فإن العقل الإلكتروني (الكمبيوتر) في معظم أنحاء العالم لا يمتلك.. إنما يؤجر.. (حيث وجد أن من الأفضل استئجار — هذه العقول — لتضمن الصيانة.. واستمرارية الاستعمال..!

قد يكون هذا الفارق بين العقل.. والكمبيوتر.. مهم..!

فلو كانت العقول تؤجر.. أو تباع.. من قبل شركات مصنفة عالمياً، لأمكن استخدامها أكثر والانتفاع بها..

فالكثير من البشر يملكون من الموارد المالية، والقدرة الشرائية، الكثير.. وبالتالي يمكنهم — استئجار عقول..

والأهم من : القدرة على الاستئجار — في رأيي — هي القدرة على الصيانة — فالمدنية الحديثة (طيرت) العقول.. وأجهدتها.. وأمرضتها.. ففاتت في الحاجة إلى الصيانة..

.. أهم..!!

— في رأيي :

أن الصيانة متوفرة — لدينا — فلو أمكن أن تتولى شركات أخرى.. تصنيع العقول.. ونصدر نحن حماية هذه العقول والقلوب من أمراض..، فحمايتها تكون بالطمأنينة..

بالإيمان.. بالإسلام.... لدينا الوفير.. ولله الحمد.

أين السلامة ؟

قال لي : هل تصدق أنني أتلفت كل ما لدي من إسطوانات البوتاجاز.. والموقد التابع لها..! قلت: لماذا؟ هل عن غنى أم انتقام. قال: لا هذه ولا تلك..! ولكني لا أريد أن أزيد في أعداد الضحايا.

يقولها (بحرقة) وهل تصدق أيضاً: أن المستشفى المركزي —في جدة— وحده يستقبل أسبوعياً (على الأقل) شخصاً أو شخصة (مصاب) بحروق شديدة ناتجة عن.. أو بسبب (البوتاجاز).

... والنتيجة (يموت الكثيرين).. و(يتشوه الباقي).

والقصة تبدأ كالتالي:

يتسرب الغاز من (الإسطوانة) لأن الذي يبيع إسطوانات الغاز يعمل على قدر

معرفته في قفل الصمام —وتعتبر (الجلدة).. ويحمل الإسطوانة إلى المنزل تفوح منها (رائحة الغاز).

وربة البيت (لا تهتم) برائحة الغاز المتصاعد من خلف وحوالي الموقد — وبالملابس (والقميص النيلون) تشعل الكبريت.. وتلتهم النار والقميص، و(الست).. فتهرب المصابة أو المصاب والنار مشتعلة فيه إلى الخارج طلباً للنجدة...! فتتلقاها الرياح.. وتحولها إلى (كومة) من نار.. ثم قطعة من فحم..!

وحالة —أسبوعياً— على الأقل تنقل إلى المستشفى المركزي الذي لم ولن يعد لكي يسعف أو يعالج مثل هذه المصائب..! وبعد ساعات أو أيام.. وفاة..؟ وهكذا.

... وهكذا —يقولها بحرقة— وفي (مرارة)— مدير المستشفى المركزي..!
البعض يحرق بالنار.. وآخرون (يحرقون) بمشاهدة المآسي الناتجة عن النار..!

أين السلامة؟؟

هل أمثال هذه الوسائل الحديثة التي أدخلت إلى مجتمعنا — قبل أن نتعلم كيف نستعملها — ونتعايش معها..!

هل تعتبر وسائل جديدة للانتحار!؟

أَنفَع الـدَواء

ليس على هذه البسيطة داء لا يمكن البرء منه..! نعم، رغماً عمّا تعلمته في كليات الطب —والدراسة الطويلة العريضة— في هذا المجال، والتي أخذت من عمري أكثر من العشرين عاماً!!

الأمراض متنوعة، ولا يوجد شخص لم يعان منها، ولن يفلت منها أحد. وهي التي تؤدي آخر —المطاف— بحياة الكثيرين..!

مع مطلع القرن العشرين اكتشفت المضادات الحيوية، وقبلها عرفت البكتريا.. وغيرها من الميكروبات.. عرف من أسباب الداء والعلل الكثير.. تحسنت الجراحة، تطور علم التخدير.. أمكن تعويض الدم المفقود من الأشخاص والمصابين..!.. زرعت الكلي، نقلت القلوب، إلى غير أصحابها.

وفي كثير من أنحاء العالم أمكن للإنسان أن يسيطر على أمراضه، في الدول المتقدمة، وجدوا الدواء وانتصروا على النزلاء المعوية، السل، التيفود، الجدري، وغيرها.. الأمراض التي كانت تفتك بالكبار والصغار..! والآن (انصرفوا) إلى نقل

الأعضاء وإطالة الحياة.. الدول المتخلفة.. تدفن الكثير من أطفالها.. حيث يقضى عليهم بالحمى الصفراء، الحصبة، الجدري، وسوء التغذية، والروماتيزم.. الخ.

أناس في أول الطريق .. إيجاد الدواء للداء، وأناس مشوا مشواراً طويلاً في تحديد الداء.. واكتشاف الدواء المناسب..!

اكتشف (الإسكندر فلمنج) البنسلين.. ودماك السلفا.. وغيرهما، كثيرون فدفعوا بهذا الدواء الكثير من الأدواء..! والآن عرف السرطان وخلاياه وبعض خباياه..! وأخذ الكثيرون يبحثون عن الدواء.. وسوف يكتشف الدواء المناسب.

وهكذا أنزل الله داء التيفوئيد.. وسخر أحد عبيده لاكتشاف مادة الكلورفينكول — البكتريا المسببة للمرض موجودة.. والفطر الذي استخرج منه الدواء أيضاً كان موجوداً.. سخر الخالق من اكتشف الداء.. ووفق أيضاً من اكتشف الدواء.. وحصل الشفاء لمرض التيفوئيد بإذن الله عز وجل.

روى مسلم في صحيحه — من حديث ابن الزبير — عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال (لكل داء دواء). فإذا أصيب دواء الداء.. برأ — بإذن الله عز وجل.

كل الأمراض والأوبئة والأدواء التي يعاني منها البشر، ما عرف منها وما لم يعرف قد أوجد الله — سبحانه وتعالى — لها دواء (إن الله ما ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله). صدق رسول الله عليه السلام.

قد طوى علم كثير من هذه الأدوية عن كثير من البشر.. أكرم بعضهم بمعرفة القليل.. وسيكرم الآخرين بمعرفة علاجات وأدوية لما يسميها أمراض مستعصية،.. إذ ليس هناك داء بدون دواء..! إنه موجود في مكان ما هذا الدواء..!

فسبحان الموفق.. وهنيئاً للمسلمين (الحق) في الأمل الذي أكده نبي الهدى عليه السلام...!

الاحترام لا الخوف

تصدر أحياناً من بعض (الناس) تصرفات.. يصعب إيجاد تفسير لها..! هذه التصرفات تدل وكأن الشخص يعتقد أن (الدنيا تؤخذ غلاباً..)، لذلك فهو (يشخط) وينفر، ويكيد، ويشكو، ويصرخ... الخ، لكي تسمع (إيقاع تصرفاته وطلباته)..، أفعال كهذه عادة تصدر عن (نفس) خائفة..، لأنه كما —يقولون— أن الانفعالات العصبية في المعاملات تدل على نفس —خائفة من كشف— ضحالة محتوياتها (جهلها)..!

كيف نحول هذا الخوف الى الاحترام...

من بلغ منا.. من العمر (فوق العشرين)، قد —تكون— كما يقولون— (راحت علينا).

إذاً فلنبحث — المشكلة من قدريفيد (الكلام)— في تكوين شخصيتهم..، أقصد به الطفل.. العبث العربي والشرقي —في كثير من الأحيان يغرس في نفوس الأبناء..

الخوف أكثر مما يغرس الاحترام،..! نتوعد الطفل بالضرب والعتاب، أكثر من أن نعده بالمكافأة والجزاء.. وتلبية الرغبات..!

نضيق بمناقشاته.. أكثر مما نفتح صدورنا لآرائه، نطلب منه الطاعة.. ولا نعوده على التفكير– فالأخذ والعطاء.. فعندما يتحول هذا الطفل إلى طالب.. يصبح الطالب (صماماً) للمعلومات –يصم– لكي ينجح... لا لكي يتعلم..! حتى لقد أصبح معروفاً أن الطالب العربي والشرقي طالب شهادة، وليس طالب علم..، لأنه ليس بالطالب القادر على (أن يستعمل تفكيره).. و يتقبل الآراء، و يناقش، –ويحاور بالتي هي أحسن.

لذا، فعندما يبدأ (معركة) الحياة..، و يتعامل مع الآخرين –وليس في المعاملات مع الناس ما يصم، لكي (يفرغ) ..في مناقشات، وإنما المعاملات في الحياة.. هي فكر وتحليل وأخذ وعطاء –لا يصبح– أمام –الخلق– وكأنه بدون كساء، فيخاف كشف الجهل..! وهنا يصبح عصبياً –حاد المزاج– يصدر عنه تصرفات يصعب تفسيرها..!

فـأرة تجـارب

وضعت طفلها.. اختل عقلها..! وأدخلت المصحة..! طلب الأطباء من زوجها وأقاربها.. أن يجعلوا منها (فأرة) تجارب؟.. وافق الجميع.. حباً في العلم، وفي سبيل الإنسانية.. قرباناً في (معمل) اكتشاف النفس البشرية.

أدى المرض النفسي والعقلي الذي انتابها —والذي قد لا يكون بسبب الحمل أو نتيجة له— إلى أن فقدت ذاكرتها — نسيت تماماً كل شيء.. اسمها.. ابنها.. زوجها.. أهلها.. ماضيها.. عالمها الحاضر. انقطعت كل الروابط بالماضي.. ماتت الذكريات!.!.

أصبحت المنطقة المختصة في المخ لعملية التذكير (الذكريات)، ...صفحة بيضاء.. محيت (كما يمحو) الطالب (السبورة) من كل ما سطر عليها..
لم يرد العلماء أن تمر هذه الظاهرة (أو الفرصة) دون استفادة قد تعود على البشر.. وسلوكهم، ووظائف العقل الإنساني بالخير.

أرادوا أن يسطروا على الصفحات البيضاء (أو التي غدت بيضاء).. في عقل هذه

المسكينة.. ذكريات جديدة.. أعطوها اسماً جديداً.. بطاقة شخصية جديدة..، ماضياً جديداً..

وهل يمكن أن يجدد الماضي؟

يبدو أن العلم على وشك أن يحقق ذلك!! بدءوا معها صفحة جديدة (... ومن أول السطر)..

.. ولعل الغريب في ذلك أن هذه السيدة.. زوجة عضو بارز في البرلمان (...).

عدد البشر (أو فئران) التجارب الذين تم إجراء مثل هذه التجارب.. عليها حتى الآن يقدر بحوالي سبعمائة شخص.. النتيجة؟ لم تظهر بعد.. فالشريط الذي سوف يسجل عليه (الماضي) الجديد.. والهوية المنتقاة.. طويل. لكن تشير النتائج الأولية إلى أن للبحث جدوى علمية.

قليل من الناس يتمنون أن تمحى من ذكرياتهم.. بعض الذكريات.. يودون لو أعطوا (مساحة) يمحون بها ما شاءوا، متى شاءوا و يسطرون صفحات جديدة.

لكن الكثيرين —سوف تكون مأساة حياتهم— لو مرت (المساحة).. على أحلى وأغلى الذكريات؟!

البـدانــة

(الـسـمـنـة) أو الـبـدانـة لم تـعد ز ينة المرأة، ولم تعد (أرطال الشحم واللحم) من مطالب الزوج في شر يكة المستقبل (إلا ما ندر) —إذ كان (للسمنة) تأثير سحري في العصر النابليوني وإلى عهد ليس ببعيد..!

في هـذا الـعصر صـنـفـت الـبـدانة على أنها مرض، وكتب فيها الكثير من المقالات الـطـبـية، وعقدت لها المؤتمرات العلمية..، حتى أصبحت ليس عنواناً على الرفاهية، وطيب العيش، وإنما دليل على الإهمال والشره والإفراط، والاضطراب النفسي.

دلـت الإحـصـائيات : أن الز يادة في الوزن معناه أن المرء أصبح أكثر احتمالاً من غـيـره، في أن تـطـوى صـفـحته مبكراً، وأكثر عرضة لمرض السكر.. والقلب.. وضغط الدم.. وآلام الظهر.. وتصلب الشرايين،... الخ.

واجتهـد الأطـبـاء والـعـلماء في دراسـة الـغذاء المناسب والكمية المطلوبة والسعرات

الحرارية اللازمة..! أصبحت كلمة (الرجيم) والدايت Diet على لسان الجميع، أدخل (السكارين) و(أقراص سد النفس) —عن الأكل—، وكتبت نشرات نصف غذاء يوم وأسبوع وشهر، لكي —ينقص الوزن— عدة جرامات.

وكلما استفحل الأمر تطور العلاج، فادخلت الجراحة لكي تخلص المرء من بعض جرامات من الدهن من أسفل البطن والورك وغيرها، وجراحة تستأصل بها جزء من المصارين، ليقل كمية الطعام المختص من (المصارين)..، ولعل أحدثها —وهو (قفل الفم)، لكي يستعصى على (البدين) الإسراف في تناول الطعام. وذلك بربط مفصل الفك— بعملية جراحية...!

لماذا كل هذا..؟

لأن الإنسان أفرط في بدنه حتى أضر بوظائف البدن الطبيعية.. لأن الإنسان أدخل الطعام على الطعام قبل هضم الوجبة الأولى. زاد في الطعام عن حاجته، ولأن الإنسان لم ينتق الطعام المناسب.. (والحل).

قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم منذ ١٤٠٠ سنة:
(ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فان كان لا بد فاعلاً: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه).
صدق الرسول الكريم.

الـرّوح .. وَالجَسَـد

لكل منا وجهة نظر في الحياة..!

فالمسلم الحق يعلم —علم اليقين— أن ما خلق ووجد على على هذه البسيطة إلا ليعبد الله (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون..) —الآية— صدق الله العظيم.

فكل أعمال البشر، إذا روعي فيها وجه الله كانت عبادة.. التأمل والتفكير، وحتى رعاية الأسرة عبادة..!

إذا كانت الحياة العصرية الحديثة قد حولت الإنسان الغربي ومن في فلكه إلى عابد من نوع آخر، فهذه مأساة الحضارة الحديثة..!

يعتقد بعضهم أن انصرافنا إلى خمس مرات في اليوم للعبادة.. مضيعة للوقت..! ونحن —عن ثقة— نعتقد أن انصرافهم إلى عبادة الالهَ.. والقرش.. والماديات —مضيعة للعمر— أوخسارة في الدنيا والآخرة.

الإنسـان (العـصري) الـغير مؤمـن.. يهتم بـتغذية ورفاهية عنصره (الترابي)..
والإنسـان مـكون من عنصر مادي — وهو الجسد — الذي خلق من تراب.. و بعد عمر
طـو يـل — إذا بحثت عنـه تحـت التراب..! لا تجد من أثره، إلا (شو ية) تراب..!
ولـكـنه مكون — أيضاً — من عنصر ر وحي، فيه نفحة من روح الله (.. ونفخنا فيه من
روحـنـا..) — الآيـة — لم تـسـتطع مجاهر ومختبرات وأجهزة التكنولوجيا الحديثة من أن
تـضـع (يـدهـا)، على تـلـك الـروح — أين من الجسد هي —.! وفي أي جزء من الخلية
تكمن..!

العنصر الترابي في الإنسان محتاج إلى رعاية.. ورعاية مادية بحتة.

أكـل وشـرب.. رفـاهـيـة — وإشباع غرائز..! أما العنصر الروحي، فهوفي حاجة
أيـضـاً إلى رعـايـة..! غذاوءه العبادة.. القرب من الله.. التصاق الروح ببارها — على
الدوام — وفي حضرته.. سبحانه وتعالى.

يحتـاج الجـسـم (عـنـصـره الترابي) إلى ثلاث وجبات يومياً — والبعض — يأكل
أكثر..! يحتـاج عـنـصـره الـروحي إلى خمس (وجبات) روحية، ويحدث الخلل و يبدأ
المرض.. عـنـدمـا تنقص أو تهمل التغذية الروحية وتزداد شراهة إلى التغذية البدنية..
كـلما بـعـدنـا عـن أسـاس وجودنا على هذه البسيطة (للعبادة).. وأحللنا محلها أسباب
مادية..
كان (علينا العوض).

الفصل الثامن



يارب



يارب

يا رب..

إذا أحلك الظلام.. رغم وهج الضياء الصناعي:

..إذا حلت بالنفس (عتمة) رغم سطوع الشمس..
إذا اختفت الهمسات الحانية.. رغم ضجيج الحياة وتزاحم الناس..

..يا رب:

إذا تداخلت الرؤيا.. واهتزت الصورة الحقيقية للأشياء.. والناس..!

يا رب:

إذا خارت القوى، رغم كبر حجم الجسم واشتداد العضلات..

إذا تداعت الهموم والآلام، ولم تترك لدبيب السعادة مسلكا..

..إذا خيم الحزن.. غطى كل متنفس..

..يا رب:

إذا حل كل ذلك، وأكثر

...إنني أغمض عيني، وأرفع رأسي إليك في السماء.. بل، وفي كل مكان— داعياً.. يا رب!

تقف الكلمات..

..ولا يسترسل الدعاء بعد لفظ يا رب!

من أين أبدأ الشكوى؟

..ومن يرفع البلوى؟

..ماذا أطلب بعد أن أقول لك.. يا رب؟

هل أشكر الظلمة؟ العتمة؟

..أم أشكو الهم والحزن..

هل ؟ وهل أطلب من كل ذلك مخرجاً..؟

أنت يا رب.. الملجأ.

..حجم الكرب.. اخرس لساني.. جفف الدعاء في حلقي..!!

..لكن يا رب:

أنت أعلم بالنفس، واعلم بالسر وما يخفى.

قد، لو انطلق لساني، لما استطاع أن (يترجم) رجائي!!

أنت أعلم بحالي.. وغني عن سؤالي..

..يا رب:

إشراقة منك تضيء حياتي.. تسرج مصباح آمالي.. تعيد لي وزني.. قوتي.. خيالي..!

يا رب:

رد إلي نفسي.. مطمئنة..!

.. أرني (الحجم) الحقيقي لمأساتي..

فالعتمة.. والغل.. أفقداني التقدير لمأساتي.. لعل ما بي من تراهات.. هي

قطرة سيئة في بحر نقي.. لكن العتمة والهم... وفقدان القدرة على التقدير حول القطرات إلى صخرات.. والسراب إلى حقيقة.

.. يا رب:

أرني قدراتي في حجمها الطبيعي.. فقد اهتز كياني، وأحاطت بي الأوهام..

يا رب:

أعد لي (حجمي) الطبيعي.. لا أود أن أكون مغروراً.. ولا أن أكون لقدراتي متجاهلاً!!

.. يا رب:

عجزت عن التعبير.. أو أترك لك — سبحانك — التدبير.

مَن أرحم مِن اللهِ بعباده

صدق العرف السائد بين المؤمنين —أن الله عز وجل—: أرحم بعباده من الأم برضيعها.. والأمثلة كثيرة..!

ولعل الظاهرة التالية التي قامت على البحث العلمي —في دولة ملحدة كافرة— تبحث عن الحقيقة العلمية المطلقة تعطي لنا —ضوءاً نورانياً— يزيد من إيماننا بخالقنا (جل وعلى)..

..فقد نشرت مجلة اللانست Loncet —البريطانية— أوسع مجلة طبية انتشاراً في العالم.. بحثاً بني على ملاحظة هامة مفادها.. أن في الدول النامية يمكن للأمهات الفقيرات، والمتعبات اللائي لا يجدن من الغذاء والراحة ما يكفي حاجتهن دون ما حمل أو وضع أو رضاعة.. يمكنهن: أن يرضعن أطفالهن رضعات مشبعات (يمكنه) من اللبن من ثديهن ولمدة طويلة تصل إلى حوالي السنتين.

... بينما لوحظ أن الأمهات — في الدول الأوروبية — والمترفات والأمهات اللواتي يتمتعن بصحة جيدة، وغذاء كامل — يجف اللبن في صدورهن ولا يستطعن إرضاع أولادهن — رغم رغبتهن في ذلك — أكثر من.. أسابيع قليلة لا تتعدى عشرة أسابيع.

.. أم فقيرة حلوب.. وأم غنية مرفهة.. تتمنى أن يدرثديها .. لكنها لا تستطيع..!!

قام البحث على مجموعتين من الأمهات. المجموعة الأولى: من دولة جامبيا وزائير (دول نامية فقيرة). والمجموعة الثانية من سيدات من (كامبرج) في بريطانيا.. قاسوا كمية الهرمون الذي تفرزه الغدة النخامية الموجودة (في الرأس).. والذي من أهم وظائفه إدرار وصنع الحليب في الثدي.

.. وأسفر البحث عن أن كمية هذا الهرمون تتناقص.. و ينضب إفرازه في الأمهات الأوروبيات، ومن على شاكلتهن من الصحة والرفاهية.. ولا يستمر ادرار هذا الهرمون، و بالتالي صنع (الحليب) في الثدي أكثر من ثلاثة شهور بعد الولادة..!

أما بالنسبة للأمهات في الدول الفقيرة، واللوائي يقدمن التغذية الجيدة، والصحة القوية.. فان كمية هذا الهرمون يستمر في الذوبان والتدفق إلى فترة طويلة بعد الولادة تصل إلى (حولين كاملين).. أي أن صنع اللبن يستمر مدة طويلة لدى المرأة.. الضعيفة.

.. ماذا يعني ذلك؟؟

الحكمة الالهية أعطت الأم الفقيرة — الشعب المقترعليه في الرزق — القدرة على أن يستمر (مصنع اللبن) الطبيعي في الإنتاج.. كأحسن ما ينبغي لكي يقدم الوجبات الكاملة للرضع.. فالرضيع ليس بمقدوره تحمل الفقر والفاقة وقلة الطعام..

.. (نحن نرزقهم وإياكم..) —الآية— للرضع (الطعام).. لمدة تكفي لكي يشب هذا المولود الجديد، ويمكنه أن يقتات بعد ذلك على الفتات..

.. الأم الغنية .. القوية موفورة الرزق ليست في حاجة إلى أن تهتم أو تقلق على غذاء رضيعها.. فالغذاء ممكن الحصول عليه.. إذاً فلا داعي لكي تستمر الغدد في إفراز هذا الهرمون بكمية كبيرة، ولمدة طويلة — رغم رغبة بعض هؤلاء الأمهات في ذلك..!

الحليب الصناعي وزجاجات طعام الأطفال متوفرة.. لن يموت هذا الرضيع جوعاً.. ولا يحتاج لأن يتعلم الكفاح وهو في (الكوفلة)..

..بل ما تحتاج إليه الأم الغنية.. والشعوب الميسر لها في الرزق.. هي زيادة النسل والإنتاج.. يستطعن هؤلاء الأمهات مواصلة الحمل، فالإنتاج وملء الأرض وتعمير الكون..! لا أزمة صحية ولا أزمة غذائية.. نقص إفراز هذا الهرمون أو توقفه سريعاً له فائدة أخرى لدى هؤلاء.. الأمهات. حيث أن لهذا الهرمون عملاً آخر غير تصنيع اللبن.. فوجوده يؤخر حدوث الحمل.. حيث يؤخر ظهور العادة الشهرية (الطمث) بعد الولادة..

..فعند نقص إفرازه أو توقفه يسترد (المبيض) قدرته على إفراز البويضة، وبالتالي.. الحمل..

..الفقيرات يرهقهن الحمل والإنجاب.. لذا كانت حكمة رب العباد أن يستمر إدرار هذا الهرمون لدى الأمهات الفقيرات.. لكي يغذين أطفالهن.. يؤخر الحمل..

لكي يستعدن صحتهن.

الغنية يمكنها شراء الحليب الصناعي.. لبن الماعز.. وتستطيع أن تواصل الحمل والإنجاب، بما أعطيت من صحة جيدة.. و يريد الله أن يكون عباده من الأقوياء..

..الأم الفقيرة أعطيت القوة الخفية.. لكي تواصل رعاية من وصل من أبنائها فتوفر له الغذاء و بدون عناء...

هذه العملية (الفسيولوجية) التي تحدث داخل جسم الإنسان وتتغير بحسب الظروف الاجتماعية.. ليس لها من تفسير سوى —رحمة الله بعباده؟؟ فقد وجد أنه: إذا أمكن تحسين معيشة وغذاء وصحة هؤلاء الأمهات من زائير وجامبيا، فإن كمية هذا الهرمون تأخذ في النقصان والتوقف سريعاً..

..إذا نظرنا إلى الآيتين الكريمتين:

لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) —الآية. والأخرى (... نحن نرزقكم وإياهم)— الآية.

لقد فسرها سماحة الشيخ محمد متولي الشعراوي —في كتابه معجزة القرآن —تفسيراً في اللفظ والبلاغة والإعجاز... ولكنني أنظر إليها أيضاً على أن: ..في

الأولى يطمئن الله —جل جلاله— عباده الفقراء على رزق أطفالهم، فقد كفل سبحانه إطعامهم..

.. كيف؟

والموارد الغذائية (الظاهرة) محدودة عند الشعوب والأمهات الفقيرات.. فالفقر لم يترك لهؤلاء القوم ما يكفي لإطعام وإرضاع أطفالهم؟ إذاً كيف كفل الرزق؟ لقد أدر الضرع —بكميات من اللبن— وهو الغذاء الرئيسي للرضع والأطفال، لا يمكن مشاركة الكبار في هذا الرزق.. إمكان إفراز الهرمون في الغدد لمدة طويلة.. وتأثيره في قدرة الأم.

وفي الآية الأخرى: (نحن نرزقكم وإياهم) — الآية— يطمئن الغني من خشية الفقر من كثرة العيال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا...) —الآية—. فلا تعارض بين ما أودعه الله في الأجسام من قدرات على الإنجاب.. ومع ما سخره لعباده من رزق فهو قد كفل— الآيتين.

المرأة القوية الغنية التي تتمتع بصحة جيدة أعطيت (القدرة الداخلية في وظائف جسمها).. لكي تسترد دورتها الشهرية (العادة) في فترة وجيزة من بعد الوضع.. وتمارس الحمل والإنجاب من جديد.

والمرأة التي لا تستطيع أن تغذي جسمها ولا تكفي الموارد الطبيعية في محيطها لكثرة العيال والنسل، فقد أودع الخالق القدرة.. (الداخلية) في جسمها لكي يستمر إفراز الهرمون، و يستمر صنع الحليب في الثدي.. تستمر الرضوع و يتأخر الحمل..
قد كفل الرزق، .. للأولاد، وبما أودعه —سبحانه— من قدرة— في الطبيعة الداخلية، في الجسم البشري بمواصلة إفراز الهرمون وإدرار اللبن..
.. سبحانه— الرحمن الرحيم.

الفهرس